المملكة العربية السعوديـــــــة

وزارة التعليـــــــــــــــــم

كلية الآداب والعلوم الإنسانيـــة

قسم اللغة العربيـــــــــــــة

شعبة الدراسات الأدبية والنقدية

التوجيه البلاغي في سورة طه بين الرازي وابن عاشور "علم المعاني أنموذجا"

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها تخصص (الدراسات الأدبية والنقدية)

إعداد الباحث:

محمد حسن أحمديني

إشراف:

الدكتور: إبراهيم عطية عيسى

الأستاذ المشارك بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة جازان

شعبان- ١٤٤٠هـ

مايو- ٢٠١٩م

المملكة العربية السعوديـــــــــة

وزارة التعليـــــــــــــــــم

كلية الآداب والعلوم الإنسانيـــة

قسم اللغة العربيـــــــــــــة

شعبة الدراسات الأدبية والنقدية

التوجيه البلاغي في سورة طه بين الرازي وابن عاشور

"علم المعاني أنموذجا"

محمد حسن أحمديني أحمديني

تقرير لجنة المناقشة والحكم:

تمت الموافقة على قبول هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها (تخصص الدراسات الأدبية والنقدية)

لجنة المناقشة والحكم على الرسالة:

أعضاء اللجنة	الاسم	المرتبة العلمية	التخصص	التوقيع
المشرف الرئيس				
المناقش الأول				
المناقش الثاني				

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله المتفضل على الخلق بالنعم، والصلاة والسلام على من بعثه الله بالحق لخير الأمم.

وبعـــــد

فإنَّ شكر صاحب الفضل من مكارم الأخلاق، ففيه اعتراف لأصحاب الفضل بفضلهم، وبه تزداد روابط الحبِّ والودِّ والإخاء، وبه ينال العبدُ الأجرَ والثواب.

فالشكر لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، على توفيقه وتيسيره، وعلى ما أمدّني به من خير عميم، وهِمّةٍ ومثابرةٍ في تحصيل جانب من علوم كتابه الكريم، فالحمد له ليلَ نهارَ على إعانته لي بإتمام هذا البحث، الذي أسأله تعالى أن يجعله في ميزان حسناتي، وأن يرزقني الإخلاص فيه.

ثمَّ الشكر لوالدتي الغالية، على دعواتها التي ما زالت تكلأني بها، فالله أسأل أن يمنّ عليها بالصحة والعافية، وأن يبارك في عمرها، وأن يديم بِرّي لها ما حييت، والشكر موصول لزوجتي وأبنائي وجميع أهلي، فأسأل الله أن يثيبهم، ويبارك فيهم، لما أحاطوني به من رعاية واهتمام.

ثم الشكر والعرفان للدكتور إبراهيم عطية عيسى الذي تفضل وتكرّم بالإشراف على هذا البحث، فقد أحاطني بكريم اهتمامه، وخلاصة فكره وفهمه وعلمه، ففتح لي قلبه وبيته، وأولاني من علمه ، ولم يبخل عليّ بتوجيهاته القيّمة، ونصائحه الصادقة، وإضافاته العلمية النافعة، فاللهَ أسأل أن يمدّه بالصحة والعافية، وأن يجزيه عني خير الجزاء.

والشكر موصول لجامعة جازان التي تكرّمت بقبولي في مرحلة الماجستير ولعمادة التعليم العالي؛ وقسم اللغة العربية شعبة الدراسات الأدبية والنقدية، وأشكر لكل من قدّم لي نصحًا، أو توجيهًا، من الأساتذة الأفاضل، والزملاء الأكارم.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يغفر لي تقصيري، ويتجاوز عن خطأي، فهذا الجهد المتواضع - لا شكَّ - لم يخلُ من الخطأ والنقص والتقصير،كما أسأله تعالى أن ينفعني بما علَّمَني، وأن يوفقني لما يحب ويرضى، وأن يجعل أعمالي كلها خالصةً لوجهه الكريم، وأن يتقبلها مني، إنه بي وبالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ. والحمد لله رب العالمين.

محمد حسن أحمديني

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة (التوجيه البلاغي في سورة طه بين الرازي وابن عاشور علم المعاني أنموذجا)

وتتكون من مقدمة، وتمهيد، وستة فصول، وخاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

احتوت المقدمة على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، إضافةً إلى الدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

وأبرز التمهيد تحرير مصطلح التوجيه البلاغي، والتعريف بالفخر الرازي وابن عاشور،بالإضافة لمنهجهما في التفسير.

وجاءت الفصول الستة مشتملة على مباحث علم المعاني، في كل فصل منها جانبان؛ جانب نظري، وآخر تطبيقي.

أما الخاتمة فقد أسفرت عن أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وأعقبتها بقائمة بالمصادر والمراجع التي أفاد منها البحث، ثم ختمتُ الرسالة بفهرس الموضوعات.

والحمد لله رب العالمين،،،

Study summary

The Title of the study

(THE COMPARISON BETWEEN AL-RAZI AND IBN ASHOR IN RHETORIC GUIDANCE IN SURAT "TAHA" AS IN SEMANTIC).

The study contains of: introduction, preface, six chapters, conclusion, list of references and resources, and index in the end.

introduction includes the importance of the subject and the selection causes.

In addition to previous studies, research Methodology and its plan.

The preface featured the redaction of Rhetoric Guidance term, pride recognition among AL-RAZI and IBN ASHOR in addition to their methodology in Quran interpretation.

The six chapters include the discussion of semantic.

There are two aspects in each chapter: (theoretical and applied).

The conclusion contains of the main results which the researcher reached followed by resources and references list which benefited the study, then, the study ended by index reveling its contents.

and thank Allah the god of everything,,,

المقدمـــــــــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحابته أجمعين، ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين، ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾.

وبعـــــــد

فإن أرفع العلوم شأنا، وأجلها قدرا، وأعظمها مكانة، وأسماها منزلة ما اتصل بسبب إلى القرآن الكريم، وإنّ أشرف ما يشتغل به الباحث مدارسة كتاب الله والبحث فيه، والكشف عن أسراره المكنونة ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فهو الكتاب الذي لا تنفد دُرره ولا تنتهي عجائبه.

والبلاغة العربية من العلوم التي اتصلت بسبب إلى القرآن؛ كيف لا؟ وقد تخلقت في رحمه، وتكونت في كنفه، وكان قابلته التي ولَّدَته، سؤالهم كيف أعجز القرآن؟. فطفق يسقى نبتها، ويعلي قصبها، ويحيط بناءها، حتى أصبحت حديقة تزخر بأدق المعاني، ولطائف النكت والمباني؛ وذلك بتلك الدراسات التي اعتنت بالقرآن الكريم، فأشارت فيما أشارت إلى نكت اهتدى علماء البلاغة إليها، ومنها التفاسير القرآنية، وعلم القراءات، فأهم ما تهدف إليه البلاغة إدراك روعة النّظم القرآني والوقوف على أسراره.

ومن يطالع كتب التفاسير يجد دقة وإيضاح التعبير القرآني، وجزالة الألفاظ، والإحاطة بالمعاني والدلالات على الرغم من تنوع واختلاف طرق الأداء فيها، وخاصة تلك التي جاءت بعد دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني، من هنا أتت فكرة البحث، ففي هذه الدراسة سأحاول الوقوف على بعض وجوه الإعجاز

في سورة طه، وذلك من خلال تتبع آراء الإمامين الرازي وابن عاشور البلاغية في مسائل علم المعاني، ولهذا كان عنوان الدراسة التوجيه البلاغي في سورة طه بين الرازي وابن عاشور، وقد حصرت الدراسة على مسائل علم المعاني لتوافق ذلك رغبة في نفسي قصدا إلى التعرف على الدقائق البلاغية التي يؤديها علم المعاني بحسب مقامات السياق ومقتضيات الأحوال، وللكشف عن استدراكات ابن عاشور على الرازي في الجوانب البلاغية في السورة ذاتها، ولاستثمار الأدوات التحليلية (علم المعاني) في خدمة لغة القرآن، ولمَ للدراسات التطبيقية من أهمية كبيرة في تقريب مسائل العلوم وفهمها وإدراكها، ولتيسير و تسهيل هذا الموضوع للباحثين في الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

وقد جاءت هذه الدراسة في ستة فصول وتمهيد وخاتمة، قمت بتحرير مصطلح التوجيه البلاغي، والتعريف بالإمامين الرازي وابن عاشور ومنهجهما في التفسير في التمهيد، وقسمت مباحث علم المعاني إلى فصول ستة؛ جعلت الأول للخبر والإنشاء، والثاني لأحوال المسند إليه والمسند، والثالث لأحوال متعلقات الفعل، والرابع للقصر، والخامس للفصل والوصل، والسادس للإيجاز والإطناب والمساواة، وجعلت لكل فصل منها مبحثين؛ جعلت في أولهما مقدمة تمهيدية للفن البلاغي الذي أنا بصدده، وفي ثانيهما وجهت دَفَّة البحث لدراسة آراء الشيخين فيما أجده من أقوال لهما تخص المبحث في السورة الكريمة، ثم كانت الخاتمة وجعلتها لإبراز النتائج التي توصل إليها البحث، واستخدمت المنهج الوصفي التحليلي لهذه الدراسة، وقد اعتمدت علي مجموعة من الدراسات السابقة وأهمها:

- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د/ أحمد سعد محمد، مكتبة الآداب القاهرة.

- علم المعاني في التفسير الكبير للفخر الرازي وأثره في الدراسات البلاغية، للدكتورة فائزة سالم صالح يحيى أحمد، مخطوط.

- خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالتها البلاغية في تفسير "التحرير والتنوير"، رسالة دكتوراه للدكتور إبراهيم على الجعيد، إشراف الدكتور محمد محمد أبو موسى ص١٤٢، جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ مخطوط.

- الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة، د/ محمد أحمد عبد العزيز الجمل، رسالة دكتوراه مقدمة من جامعة اليرموك- إربد- الأردن ٢٠٠٥م.

- التوجيه البلاغيّ لآيات العقيدة، د/ يوسف العليوي، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود، سلسلة رسائل جامعية رقم ٩٠ ، أصل الكتاب رسالة جامعية مقدمة لنيل الماجستير في الجامعة نفسها عام ٢٠٠٨ م.

- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، سورة البقرة نموذجًا، الجيلالي بو عافية، إشراف د/ محمد موسوني، مذكّرة تخرّج لنيل شهادة الماستر، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، ١٤٢٦هـ.

- التّوجيه البلاغي للقراءات في الكشّاف للزمخشري [نماذج]، عمّارية شيخاوي، مذكّرة تخرّج لنيل شهادة الماستر، جامعة أبو بكر بلقائد، الجزائر.

- الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير"المعاني والبديع"، رانية جهاد إسماعيل الشوبكي، بإشراف أ.د. محمد شعبان علوان، الجامعة الإسلامية - غزة، ١٤٣٠هـ.

- الأساليب الإنشائية في سورة طه، أروى بنت عبد الرحمن السحيباني، رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية "الماجستير" في البلاغة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٣- ١٤٣٤هـ

- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية في سورة طه، د/ حمدان السيد سعيد، محاضرة في مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية - مكة المكرمة.

- دراسة أساليب القصر في تفسير التحرير والتنوير، حفني محمد عبد الرحيم، مصر، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بأسيوط، ماجستير.

- الاستئناف البياني في القرآن الكريم دراسة في تفسير الطاهر بن عاشور: يونس فرج الجبوري .

- دراسة الاستفهام في تفسير التحرير والتنوير، ربيع حسن المنياوي، مصر، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بأسيوط، ماجستير.

ولمَ للموضوع من جدة حيث إن أكثر كتب التوجيه البلاغي- على جدتها- قد عنت بتوجيه القراءات القرآنية، أو الآيات المتعلقة بالمواضع؛ إذ لم يوجه بلاغيا أقوال المفسرين على الآيات من قبل - بحسب علمي- فقد تعثرت هذه الدراسة في بدايتها مرارا، حتى استقام عودها واشتد جذعها، وأبرز الصعوبات التي واجهتها وعورة مسلك الإمام الرازي- رحمه الله- في تعاطيه مع البلاغة، فتراه مرة يأتي بالمصطلحات البلاغية واضحة متفقه مع ما اتفق عليه لاحقا، ومرة غامضة تحتاج إلى تنقيب لكشفها، إذا علمت أنه سابق على تشكل العلم كما في مفتاح السكاكي.

وقد قيض الله لي الدكتور إبراهيم عطية عيسى مشرفا على هذا البحث إذ أعانني على تلك الصعوبات التي كنت فيها كحاطب ليل، فأشرق لي ليلي، وأضاء بصيرتي، وأندى قلمي، فالله أسأل أن يكتب أجره ويعلي في الدارين شأنه، والشكر موصول لقسم اللغة العربية في كلية الآداب في جامعة جازان على ما قاموا به من تسهيلات لي ولزملائي، والشكر لزملاء الدراسة الذين ما توانوا يوما عن تقديم ما يسعهم تقديمه، وأشكر الأهل والأصحاب وكل من قام بمساعدة في إتمام هذا البحث، وآخر المقال أن الحمد لله رب العالمين.

محمد أحمديني

التمهيـــــــــد

وفيـــه:

أولا: تحرير مصطلح التوجيه البلاغي.

ثانيا: التعريف بالإمام فخر الدين الرازي، ومنهجه في التفسير.

ثالثا: التعريف بالعلامة ابن عاشور، ومنهجه في التفسير.

أولا: تحرير مصطلح التوجيه.

يقتضي البحث دراسة مفهوم التوجيه البلاغي، بوصفه مصطلحاً تقوم الدراسة على أساسه، ولذلك سنقدم بين يدي التمهيد دراسة لدلالة مصطلح (التوجيه) وبيان استعمالاتها مصطلحا من مصطلحات علوم العربية، لنخلص إلى تفسير دلالة التوجيه البلاغي وذلك في الآتي:-

الدلالة اللغوية:

التوجيه مصدر الفعل الثلاثي المضعف العين (وجَّه)، وله في لسان العرب عدة معان:- يقال: وَجَّهت الريحُ الحصى توجيها إذا ساقته ... ويقال قاد فلانٌ فلاناً فُوجَّه أي انقاد واتبع، وشيءٌ مُوَجَّه إذا جُعل على جهة واحدة لا يختلف.(١)

ويقال: خرج القوم فَوجَّهوا للناس الطريقَ توجيهاً إذا وطئوه وسَلكوه حتى استبان أثرُ الطريق لمن يسلكه. وأجْهَتِ السَّماءُ فهي مُجْهيَة إذا أصبحت، وأجهت لك السبيل أي: استبانت.(٢)

ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده به، ويقال في المثل: وجِّهِ الحجرَ وجهةً مالَه، أي ضعه على وجهه اللائق به.(٣)

التوجيه كمصطلح بلاغي:

والتوجيه إيراد الكلام على وجه يندفع به كلام الخصم، وقيل عبارةٌ عن وجه ينافي كلام الخصم.(٤)، وهو عند البلاغيين: إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين، أو معنيين متضادين على السواء(٥)، وهو أحد أقسام البديع.

---

١ - ينظر: لسان العرب لابن منظور مادة " و ج هـ"- (١٨ / ٥٥٨) - ط ١- دار صادر بيروت.
٢ - لسان العرب مادة "وج هـ" (١٨ /٥٥٨) .
٣ - لسان العرب (١٨ /٥٥٦).
٤ - معجم التعريفات للجرجاني علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني- تحقيق محمد صديق المنشاوي، ط١ ، دار الفضيلة- القاهرة- ص٦٢.
٥ - انظر: مفتاح العلوم، للسكاكي، ت: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ص٤٢٧.

ووجه التسمية بالتوجيه أن المتكلم هو الذي يوجه إلى أحد معنييه، وهذه تسمية السكاكي ومن تبعه، إلا أن أبي الإصبع(٥٩٥هـ) يرى أن يسمى هذا اللون البديعي بالإبهام، فهو أحق بتلك التسمية؛ لطوع أهلتها زاهية في أفقه، ولمطابقة التسمية([٦]).

ارتباط مصطلح التوجيه بالقراءات القرآنية.

ارتبط مصطلح التوجيه بالقراءات القرآنية، وهو " فن يراد به في المقام الأول توثيق القراءات ونفي الشبهة عنها والشك في سلامتها"([٧]) ، يقول الزركشي (٧٤٥هـ): " هو فن جليل، و به تعرف جلالة المعاني و جزالتها، و قد اعتنى الأئمة به وأفردوا فيه كتبا .... و فائدته كما قال الكواشي : أن يكون دليلا على حسب المدلول عليه، أو مرجحا"([٨])، غير أنك لو ذهبت تبحث عن هذا المصطلح في كتب الأقدمين فلن تجده بهذا الاسم، ذلك لأنه لم يكن المسمى الوحيد عند المهتمين بالقراءات، لكنك قد تجده تحت عبارات من مثل "حجة القراءات"، "وجوه القراءات"، "معاني القراءات"، "إعراب القراءات"، "علل القراءات" التي بدورها قد اجتمعت تحت مصطلح الاحتجاج([٩])، ونجده كذلك تحت مسميات " التأويل "، "التعليل " ، " التخريج" ، " الاحتجاج " ، " الحجة" ، " الانتصار" ، الإيضاح"([١٠]).

ويُلاحظ أن مصطلح التوجيه ارتبط ارتباطا وثيقا بالقراءات القرآنية، فهو كما يقول الدكتور أحمد سعد : " فن يعنى بالكشف عن وجوه القراءات وعللها

---

[٦] - انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، ت: عصام شقيتو، ط١، دار مكتبة الهلال، (١/ ٣٠٢).

[٧] - التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية- د/ أحمد سعد محمد - ط ٢ ، مكتبة الآداب القاهرة- ص٢٨.

[٨] - البرهان في علوم القرآن- للزركشي- تحقيق أبي الفضل الدمياطي، ط١ ، دار الحديث القاهرة- ص ٢٣٥.

[٩] - الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة- محمد أحمد عبد العزيز الجمل - رسالة دكتوراه مقدمة من جامعة اليرموك- إربد- الأردن - ص٢٠٩، والتوجيه البلاغي للقراءات القرآنية- ص٢٢.

[١٠] - انظر: الإيضاح في علم القراءات – د/عبد العلي المسئول– ط١- عالم الكتب الحديث- الأردن- ص ١١٥/ ١١٦.

وحججها، وبيانها والإيضاح عنها"[١١]، ولكن الملاحظ أن مصطلح التوجيه له ارتبط لغوي، ويزيده بيانا تلك المسميات التي سبق التنويه بها من مثل:

التأويل، والتخريج، وأنت إذا عرفت أن بواكير هذا الفن كانت ملاحظات أولية تروى عن بعض الصحابة والتابعين والقراء لاتضح لك ذلك[١٢].

إذن لم يكن مصطلح التوجيه معني به إلا من النحويين واللغويين، ولم يكن للبلاغيين به صلة إلا في عصرنا الحاضر، فقد اتجه عدد من الباحثين باستخدام المصطلح مطبقين ذلك على بعض آيات القرآن الكريم مثل دراسة: أحمد سعد محمد- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، ومحمد أحمد عبد العزيز الجمل الوجوه- البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة، ويوسف بن عبد الله بن محمد العليوي- التوجيه البلاغي لآيات العقيدة في المؤلفات البلاغية في القرنيين السابع والثامن الهجريين، وعمّارية شيخاوي - التوجيه البلاغي للقراءات في الكشاف للزمخشري (نماذج)، والجيلالي بوعافية - التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية سورة البقرة (أنموذجا).

وقد وجد الباحث من وجه الحديث بلاغيا لضياء حسين محب الدين- في دراسته التوجيه البلاغي لروايات الحديث النبوي دراسة بلاغية تطبيقية في كتاب منحة الباري في جمع روايات صحيح البخاري من بداية الكتاب إلى نهاية كتاب الاقتصاد في الأعمال، وغيرها.

مفهوم التوجيه في الدراسة:

مما سبق نستطيع أن نقول إن معنى التوجيه في هذه الدراسة هو بيان الوجه المقصود من الآراء، أو تلمس الأوجه المحتملة للأقوال، و " بيان المقصود من إيراد الآية شاهدًا على القاعدة البلاغيّة، أو بيان وجه الاستشهاد بالآية على

---

[١١] - التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية– ص٢٣.
[١٢] - التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية - ص٢٤.

القاعدة."[١٣] من خلال موازنة رأيي الشيخين الرازي وابن عاشور فيما ذهبا إليه من مسائل علم المعاني.

[١٣] - التوجيه البلاغيّ لآيات العقيدة، د/ يوسف العليوي- منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود، سلسلة رسائل جامعية رقم ٩٠ ، أصل الكتاب رسالة جامعية مقدمة لنيل الماجستير في الجامعة نفسها - ص ١٥.

ثانيا: التعريف بالإمام الرازي ومنهجه في التفسير.

أولا: التعريف بالإمام الرازي.

١- اسمه:

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي القرشي التيمي البكري[١٤]، اختلف في اسم جده فمنهم من يسميه الحسين[١٥]، ومنهم من يسميه الحسن[١٦]، ولو تعقبت معجم المؤلفين، وطبقات الشافعية الكبرى لوجدتهما يسميانه بالحسن في ترجمتهم للرازي، ولكنهم عند ترجمتهم لأبيه يذكرون أن اسم أبيه الحسين[١٧]، ومن هذا الخلط خرج البحث بترجيح تسمية جده بالحسين، وليس ذلك وحسب، فهناك أدله أخرى ترجح ما ذهبنا إليه، وأقواها ما ذكره هو في تفسيره على سورة الأنعام، قال: " وسمعت الشيخ الإمام الوالد ضياء الدين عمر بن الحسين رحمه الله قال: سمعت الشيخ أبا القاسم سليمان بن ناصر الأنصاري يقول:.. وذكر مقولته"[١٨]، وذكره مرة أخرى في تفسيره على سورة الإسراء، قال: "وسمعت الشيخ الإمام الوالد عمر بن الحسين رحمه الله قال: سمعت الشيخ الإمام أبا القاسم سليمان الأنصاري قال: لما وصل... وذكر مقولته"[١٩] فأنت تلاحظ أنه سمى أباه بعمر بن الحسين وليس هناك ما يدل على المطلوب من هذا.

---

[١٤] - انظر: وفيان الأعيان لابن خلكان- ت: د/ إحسان عباس، ط١، دار صادر بيروت- (٢٤٨/٤)، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي - تحقيق د/ إحسان عباس، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي بيروت- (١٠٩٤/٦)، وطبقات المفسرين العشرين للسيوطي - تحقيق على محمد عمر - ط١- مكتبة وهبة- ص١١٥.

[١٥] - وفيات الأعيان (٤/ ٢٤٨)، ومعجم الأدباء (٢٥٨٥/٦) ، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام- للذهبي - تحقيق بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، (١٣٧/١٣)، وطبقات المفسرين العشرين ص١١٥.

[١٦] - الأعلام للزركلي، ط١٥، دار العلمين بيروت، (٣١٣/٦)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ت: عبد الفتاح الحلو- محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية القاهرة، (٨١/٨)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ط١، مؤسسة الرسالة بيروت، (٨٥٥/٣).

[١٧] - طبقات الشافعية الكبرى، (٢٤٢/٧)، ومعجم المؤلفين، (٢/ ٥٧٧).

[١٨] - التفسير الكبير، (٤٤/١٣).

[١٩] - نفسه، (١٤٧/٢٠).

٢- لقبه وكنيته:

يلقب بفخر الدين الرازي[٢٠]، قال عبد القادر القرشي الإمَام فَخر الدّين الرَّازِيّ اشْتهر بِهَذَا اللقب وَالنّسب عالمان كبيران صاحبا فنون وتصانيف حَنَفِيّ وشافعي؛ فالحنفي أَحْمد بن عَليّ صَاحب أَحْكَام الْقُرْآن والشَّافِعِيّ مُحَمَّد بن عمر[٢١] يقصد الرازي، وكان يلقّب بهراه شيخ الإسلام[٢٢]، وإذا ذكر في كتب الأصول الشافعية والعقائد الأشعرية لقب الإمام فهو فخر الدين الرازي[٢٣]، ويكنى بأبي عبد الله ، ولا خلاف في ذلك غير أن صاحب معجم المؤلفين أضاف كنية أخرى وهي أبو المعالي[٢٤]، وكناه ابن عنين الشاعر الذي اتصل به بأبي الفتح [٢٥]، ويعرف بالفخر الرازي[٢٦] وبابْن خطيب الرّيّ[٢٧] وابن الخطيب[٢٨]؛ وذلك لأن أباه كان خطيب الري[٢٩]، وهو قرشي من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه[٣٠]، - صرح بقرشيته الزركلي في أعلامه – وكذلك تيمي بكري[٣١].

٣- مولده:

اختلفت التراجم في مولده، فمنهم من يقول أنه ولد عام ثلاثة وأربعون وخمسمائة للهجرة[٣٢]، ومنهم من يقول أنه ولد عام أربعة وأربعون وخمسمائة

---

[٢٠] - انظر: وفيات الأعيان، (٢٤٩/٤)، ومعجم الأدباء، (٢٥٨٥/٦).
[٢١] - انظر: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية لعبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، مير محمد كتب خانه، (٤٣٤/١).
[٢٢] - معجم الأدباء، (٢٥٨٦/٦).
[٢٣] - انظر: فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية محمد صالح الزركان، دار الفكر، ص١٥.
[٢٤] - انظر: معجم المؤلفين، (٥٥٨/٣).
[٢٥] - انظر: حاشية فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية- ص٥.
[٢٦] - انظر: الدر الثمين في أسماء المصنفين- ابن الساعي على بن أنجب، ت: أحمد شوقي بنين- محمد سعيد حنشي، ط١، دار الغرب الإسلامي تونس، ص٢٤٠.
[٢٧] - انظر: الأعلام، (٣١٣/٦) ، ومعجم الأدباء، (٢٥٨٥/٦)، وطبقات الشافعية الكبرى، (٨١/٨)، ومعجم المؤلفين، (٥٥٨/٣).
[٢٨] - انظر: وفيات الأعيان، (٢٤٩/٤).
[٢٩] - انظر: طبقات الشافعية الكبرى، (٢٤٢/٧).
[٣٠] - انظر: معجم الأدباء، (٢٥٨٥/٦)، والأعلام، (٣١٣/٦).
[٣١] - انظر: وفيات الأعيان، (٢٤٨/٤)، ومعجم الأدباء، (٢٥٨٥/٦)، وطبقات المفسرين العشرين ص١١٥، وطبقات الشافعية الكبرى، (٨١/٨).
[٣٢] - معجم المؤلفين، (٥٥٨/٣).

للهجرة[٣٣]، ومنهم من جمع بينهما مع ترجيح الثاني[٣٤] فقد أورد ابن خلكان تاريخ ولادته فقال " وكانت ولادة فخر الدين في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين وقيل ثلاث وأربعين وخمسمائة"[٣٥]، والباحث يميل إلى أنه ولد في رمضان[٣٦] من العام الرابع والأربعين بعد المائة الخامسة بدليل ما ذكره هو نفسه في تفسيره في سورة يوسف قال: " وإذا عول العبد على الله ولم يرجع إلى أحد من الخلق، حصل ذلك المطلوب على أحسن الوجوه، فهذه التجربة قد استمرت لي من أول عمري إلى هذا الوقت الذي بلغت فيه إلى السابع والخمسين"[٣٧] وكان ذلك سنة إحدى وستمائة، فقد ذيل هذا التاريخ في آخر السورة قال: "تم تفسير هذه السورة بحمد الله تعالى يوم الأربعاء السابع من شعبان، ختم بالخير والرضوان، سنة إحدى وستمائة"[٣٨]، لكن قد يرد علينا اعتراض مفاده ما الذي يؤكد لك أنه لم يتماهل في التفسير ويقطعه لاسيما وأنه قد فسر القرآن في عشر سنين، وقد اشتهر عنه أنه لم يفسر السور حسب ترتيب المصحف[٣٩].

والجواب أننا نجد في تفسيره سورة هود التي هي قبل يوسف قوله: " تم تفسير هذه السورة قبل طلوع الصبح ليلة الاثنين من شهر رجب ختمه الله بالخير والبركة سنة إحدى وستمائة "[٤٠]، وفي سورة الرعد التي تلي سورة يوسف نجد هذا التذييل قال" تم تفسير هذه السورة يوم الأحد الثامن عشر من شعبان سنة إحدى وستمائة."[٤١] مما يؤكد عدم انقطاعه عن التأليف.

---

[٣٣] - معجم الأدباء، (٢٥٨٥/٦)، والأعلام، (٣١٣/٦).
[٣٤] - ابن خلكان، (٢٥٢/٤)، والجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، (٤٣٤/١).
[٣٥] - وفيات الأعيان، (٢٥٢/٤).
[٣٦] - انظر: محمد صالح الزركان فخر الدين الرازي وآراءوة الكلامية والفلسفية، ص١٦.
[٣٧] - التفسير الكبير، (١٤٨/١٨).
[٣٨] - نفسه، (٢٣٣/١٨).
[٣٩] - تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط٢، دمشق: دار القلم، ص٤٧٢.
[٤٠] - التفسير الكبير، (٨٤/١٨).
[٤١] - التفسير الكبير، (٧٢/١٩).

٤- نشأة الفخر الرازي:

ولد الإمام الرازي في الرَّي وفيها نشأ، وقد تلقى العلم على يد أبيه ضياء الدين عمر بن الحسين حتى مات[٤٢]، ثم قرأ على الكمال السماني، وصحب المجد الجيلي إلى مراغة وقرأ عليه علم الكلام والحكمة[٤٣]، وقيل أنه قرأ على الطَبَسي صاحب الحائز في علم الروحاني[٤٤]، ولم يكتف الرازي بما درس بل ذهب يثقف نفسه، فقرأ الشامل في أصول الدين لإمام الحرمين وأتم حفظه[٤٥].

كان الرازي- كما ذكر ابن خلكان- نسيجا وَحْدَهُ وفريد عصره، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة[٤٦]، ومن مؤلفاته:

١- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (وله مختصرات منها الواضح للنسفي، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين النيسابوري، والتنوير في التفسير للقاضي الراجي، طبع في بولاق ١٢٧٩هـ، وفي العميرة ١٣١٠هـ، وفي المطبعة الحسنية ١٣٢٧هـ، وفي استنبول ١٣٠٧هـ).

٢- تفسير سورة الفاتحة، طبعت مع مفتاح الغيب مطبعة عبد الرحمن محمد القاهرة ١٩٣٣م.

٣- المحصول في أصول الفقه، حققه: د/ طه جابر فياض العلواني، نشرته: مؤسسة الرسالة

٤- الأربعين في أصول الدين، حققه: الشيخ السقا في مجلدين، وطبعته مكتبة الكليات الأزهرية.

---

[٤٢] - وفيات الأعيان، (٢٥٠/٤)، ومعجم الأدباء، (٢٥٨٥/٦).
[٤٣] - وفيات الأعيان، (٢٥٠/٤)، ومعجم الأدباء، (٢٥٨٦/٦).
[٤٤] - ومعجم الأدباء، (٢٥٨٦/٦)، و الوافي بالوفيات، (١٧٦/٤).
[٤٥] - وفيات الأعيان، (٢٥٠/٤)، ومعجم الأدباء، (٢٥٨٦/٦).
[٤٦] - وفيات الأعيان، (٢٤٩/٤).

٥- أساس التقديس في علم الكلام، حققه: أحمد سعد على، ونشره مصطفى بابي الحلبي بمصر.

٦- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، حققه: د/ علي سامي النشار، نشر في القاهرة، ١٩٣٨م.

٧- أسرار التنزيل وأنوار التأويل، له نسخ خطية في القاهرة (دار الكتب ٢٩٤علم الكلام)، وفي اسطنبول، وتونس، وفاس، طبع بالفارسية عام ١٣٠١هـ.

٨- الخمسين في أصول الدين، طبع في مطبعة كردستان العلمية، القاهرة، ١٣٢٨هـ.

٩- شرح الإشارات والتنبيهات، طبع في الهند سنة ١٣١٨هـ، وفي اسطنبول سنة ١٢٩٠هـ، وفي القاهرة سنة ١٣٢٥هـ.

١٠- السر المكتوم في مخاطبة النجوم، طبع في بومباي بدون تاريخ.

١١- لباب الإشارات، طبع في القاهرة سنة ١٢٩٩هـ، وصحح الطبعة الثانية عبد الحفيظ سعد عطية نشرته مكتبة الخانجي بمصر سنة ١٣٥٥هـ.

١٢- لوامع البينات في أسماء الله الحسنى، طبع بالقاهرة سنة ١٣٢٣هـ.

١٣- محصول أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، طبع في القاهرة سنة ١٣٢٣هـ المطبعة الحسينية.

١٤- المعالم في أصول الدين، طبع في هامش الكتاب السابق.

١٥- نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز، طبع في القاهرة، ١٣١٧هـ.

١٦- الوصية، ليس لها طبعة خاصة، وهي مثبتة ضمن كلمة الناشر " لمفتاح الغيب". وغيرها...(٤٧)

وقد اكتسب نبوغه العلمي شهرة عظيمة، فكان مقصد طلاب العلم على اختلاف مطالبهم في العلوم وتفننهم، وإليه يشد الرحال(٤٨) فقد قيل كان إذا ركب يمشي حوله ثلاثمائة تلميذ طالبو فقه وغيرهم(٤٩).

ترك الرازي مسقط رأسه فذهب إلى خوارزم وجرت له فيها مناظرات مع أهلها طرد منها على إثرها، ثم قام بجولة في بلاد ما وراء النهر، إلى بخارى، وسمرقند، وغزنة، وبلاد الهند، وجرت له في بعضها مناظرات وقد رجع كثير من الكَرَّامية إلى منهج السنة بسببها لكنه طرد أيضا(٥٠).

رجع الرازي بعد هذه الرحلات إلى الري، وغَنِيَ هناك بسبب تزويج ابنيه ببنتي طبيب مشهور ذي مال وجاه، وقد مرض الطبيب ومات، فخلفه في ماله(٥١)، وقيل أن سبب غناه اتصاله بشهاب الدين الغوري صاحب غزنة، وكذلك بالسلطان محمد بن تكش المعروف بخوارزم شاه(٥٢).

وإلى جانب شهرته العلمية، فقد اشتهر بالوعظ وكان يعظ بالعربي والعجمي إذ كان يحسن الفارسية(٥٣)، وكان يلحقه الوجد في حال وعظه فيكثر البكاء، ويبكي سامعوه من شدة وقع مواعظه(٥٤).

---

٤٧ - انظر: الفصل الرابع المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرازي، د/ محمد العريبي، ط١، دار الفكر اللبناني بيروت،ص١٠٠.

٤٨ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي، ت: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، (١٣٧/١٣).

٤٩ - الوافي بالوفيات، للصفدي، ت: أحمد بن الأرناؤوط- تزكي مصطفى، ط١، دار إحياء التراث العربي بيروت، (١٧٥/٤).

٥٠ - وفيات الأعيان، (٢٥٠/٤).

٥١ - انظر: وفيات الأعيان، (٢٥٠/٤)، و تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، (١٣٧/١٣).

٥٢ - انظر: وفيات الأعيان، (٢٥٠/٤)، والأعلام، (٣١٣/٦).

٥٣ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، (١٣٧/١٣)، و الأعلام، (٣١٣/٦).

٥٤ - وفيات الأعيان، (٢٩٤/٤) ،و تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، (١٣٧/١٣)، والأعلام، (٣١٣/٦).

٥- **وفاته:**

توجه الفخر الرازي إلى خوارزم، ومرض بها وامتد مرضه أشهرا، توفى رحمة الله في هراه بدار السلطنة في عام (٦٠٦هـ) [٥٥]، وقيل إن الكرامية دسوا السم إليه؛ فتوفى على إثر ذلك[٥٦]. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

ثانيا: منهج الرازي في التفسير.

١- الأقوال في نسبة التفسير إلى الرازي.

يجدر بنا قبل الحديث عن منهج الرازي أن ننبه إلى أن هناك من يقول إن التفسير الكبير ليس كله من صنع الرازي[٥٧]، وأنه بلغ من تفسير القرآن الكريم إلى سورة الأنبياء فقط[٥٨]، أما بقية التفسير فهو من صنع (أحمد بن محمد بن أبي الحزم مكي نجم الدين القمولي (ت: ٧٢٧هـ)[٥٩]، و قاضي القضاة شهاب الدين بن خليل الخوئي الدمشقي (ت: ٦٣٩هـ)[٦٠]، وهذه القضية تداولها المحدثون من العلماء كالدكتور/ محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون مرجحا عدم إتمام الرازي تفسيره[٦١]، غير أنك تجده يقول بعد ذلك ثم إن القارئ في هذا التفسير لا يكاد يلحظ فيه تفاوتا في المنهج والمسلك، بل يجري الكتاب من أوله إلى آخره على نمط واحد، تجعل الناظر فيه لا يستطيع أن يميز بين الأصل والتكملة، ولا يتمكن من الوقوف على حقيقة المقدار الذي كتبه الفخر، والمقدار الذي كتبه صاحب التكملة"[٦٢].

---

[٥٥] - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، (١٤٠/١٣).
[٥٦] - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، (١٣٩/١٣)، والوافي بالوفيات، (١٧٦/٤).
[٥٧] - انظر: وفيات الأعيان، (٢٤٩/٤)، والأعلام، (١٣٧/١٣)، كشف الظنون لحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي بيروت، (١٧٥٦/٢).
[٥٨] - انظر: التفسير والمفسرون، د/ محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، (٢٠٧/١).
[٥٩] - انظر: الدر الكامنة، (٣٠٤/١) ، و كشف الظنون، (١٧٥٦/٢).
[٦٠] - انظر: كشف الظنون، (١٧٥٦/٢).
[٦١] - انظر: التفسير والمفسرون، (٢٠٧/١).
[٦٢] - انظر: التفسير والمفسرون، (٢٠٨/١).

ومن الذين تعرضوا لهذه القضية الدكتور/ صلاح عبد الفتاح الخالدي في كتابه تعريف الدارسين بمناهج المفسرين نقلا عن الدكتور محسن عبد الحميد الذي ناقش الموضوع مناقشة مستفيضة، وخرج بنتيجة قاطعة قال فيها: "والذي انتهيت إليه بعد قراءتي التفسير كله أن جميع هؤلاء قد أخطأوا، نتيجة لعدم قراءتهم جميع التفسير، إذ لو فعلوا مثلما فعلت لكان من الممكن أن يصلوا إلى ما وصلت إليه. وهو أن تفسير مفاتيح الغيب اعتباراً من سورة الفاتحة ، إلى نهاية سورة الناس له وليس لغيره !. وأن ما ورد فيه من عبارات تدل على أن شخصا آخر اشترك في كتابته ليس إلا تعليقات متناثرة من بعض تلامذته أضيفت إلى المتن ، أو كتبت في الحاشية، ودخلت في المتن في أثناء استنساخه .."[٦٣]، والحق أني أميل لقول الدكتور محسن عبد الحميد في كتابه الرازي مفسرا ، وللأمانة العلمية أني لم أحصل على كتابه هذا، لكني وجدت نتفا منه هنا وهناك تدل مجتمعة على صدق نقل الدكتور/ صلاح عبد الفتاح فيها الأسباب التي جعلته يرجح أن الفخر أتم التفسير، وأنت حينما تجد صلاح عبد الفتاح يقول في بداية هذه المسألة: " اضطرب الباحثون في هذا الموضوع كثيرا، ومنهم محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون، ومحمد الفاضل بن عاشور في كتابه التفسير ورجاله، والدكتور على حسن العماري في كتابه الإمام فخر الدين الرازي: حياته وآثاره" تعلم مدى الخلط بين الدارسين في هذه المسألة.

وقد وجدت بحثا بعنوان علم المعاني في التفسير الكبير للفخر الرازي وأثره في الدراسات البلاغية للدكتورة فائزة سالم صالح يحيى أحمد، وقد ذكرت الأسباب التي جعلتها ترجح أن التفسير كله للفخر الرازي[٦٤]، وكذلك لم أجد ابن عاشور مضطربا كما ذكر الدكتور/ صلاح عبد الفتاح، بل كان واضحا ومرجحا لصحة النسبة إلى الرازي، فقد قال: " إن الرازي لما انتصب في آخر حياته لتصنيف التفسير تمكن من إخراج شيء منه في تحريره النهائي، وبقي شيء في

---

[٦٣] ـ نقلاً عن تعليم الدارسين بمناهج المفسرين، ص٤٧٣.

[٦٤] ـ انظر: علم المعاني في التفسير الكبير للفخر الرازي وأثره في الدراسات البلاغية، للدكتورة فائزة سالم صالح يحيى أحمد، مخطوط، (١ / ٢٧ – ٣٢).

الأمالي والمسودات بيد بعض تلاميذه، فأقبل على تصنيفه وتحريره، وألحق في ذلك الفرع بالأصل، والكتاب بروحه هو كله للرازي وتحريره هو من وضعه في الأول ووضع تلميذه الخويي في الآخر"[٦٥]، وبعد هذا نستطيع أن نطمئن إلى صحة نسبة التفسير للرازي من أوله إلى آخره.

٢- منهج الرازي:

تبلور فكر الرازي حول فكرة أن الحكمة القرآنية أسمى وأسلم من جميع الطرق الكلامية، والمذاهب الفلسفية[٦٦]، وهذا ما انعكس على تفسيره مما جعله مستقى أو منبع كل العلوم[٦٧]، وهو ما يفسر قول ابن تيمية أن فيه كل شيء إلا التفسير، وقد عارض السبكي ابن تيمية بقوله: إن فيه كل شيء مع التفسير[٦٨]، وكذلك قول ابن خلكان: أنه جمع فيه كل غريب وغريبة[٦٩] وغيره من الأقوال، فقد تميز بالأبحاث الفياضة الواسعة في نواح شتى من العلم، فغدا الكتاب أشبه ما يكون بموسوعة في علم الكلام، وفي علوم الكون والطبيعة، وهذا الغالب عليه[٧٠].

ونستطيع أن نجمل هذه العلوم في النقاط التالية:

١- اهتمامه ببيان المناسبات بين آيات القرآن وسوره.

٢- اهتمامه بالعلوم الرياضية والفلسفة.

٣- موقفه من المعتزلة.

٤- موقفه من علوم الفقه والأصول والنحو والبلاغة[٧١]

---

[٦٥] - التفسير ورجاله لمحمد الفاضل ابن عاشور، مجمع البحوث الإسلامية، ص٨٨.
[٦٦] - انظر: التفسير ورجاله، ص٧٣.
[٦٧] - انظر: تعليم الدارسين مناهج المفسرين، ص٤٧٧.
[٦٨] - فخر الدين الرازي، فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية الإسكندرية، ص٤١.
[٦٩] - ابن خلكان، (٤/ ٢٤٩).
[٧٠] - التفسير والمفسرون، (١ / ٢١٠).
[٧١] - انظر: التفسير والمفسرون، (١/ ٢٠٩-٢١٠).

٥- التوسع في التفسير البياني للقرآن، والتطبيق العملي لنظرية عبد القاهر الجرجاني في (النظم القرآني)(٧٢).

إن طريقته في التفسير تعتمد على التحليل، والغوص على مناحي الاستنباط(٧٣)، وهنا قواعد اعتمد عليها في منهجه وهي:

١- الاستطراد وتوليد المسائل وتكثيرها.

٢- الجدال والرد على أصحاب الفرق المختلفة.

٣- بيان جمال النظم القرآني.

٤- التقليل من الموضوعات الأثرية والتوسع في المباحث العقلية(٧٤).

---

٧٢ - تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص٤٧٤.
٧٣ - انظر: التفسير ورجاله، ص٧٨.
٧٤ - انظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص٤٧٧-٤٨٦.

ثالثا: التعريف بالعلامة ابن عاشور ومنهجه في التفسير.

أولا: التعريف بابن عاشور.

١- اسمه:

أُضطُرّت عائلة آل عاشور في عهد محاكم التنصير الإسبانيّة إلى الفرار بدينها، عائدةً إلى سلا في المغرب الأقصى ببلاد المغرب سنه ١٠٣٠هـ ومنها إلى تونس في حدود سنة ١٠٦٠هـ (٧٥)، حيثُ وُلد لهذه الأسرة ابنها محمد بن عاشور.

وهو محمد الطَّاهر بن محمد بن محمد الطَّاهر بن محمد بن محمد الشَّاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور(٧٦).

٢- مولده ونشأته:

ولد ابن عاشور في ضاحية المَرْسى، التي تبعد عن العاصمة التونسيَّة بعشرين كيلو تقريبا عام ١٢٩٦هـ(٧٧). في أسرة علم فجَدُّه هو محمد الطَّاهر ابن عاشور (١٢٣٥هـ - ١٢٨٤هـ) الذي كان من فقهاء عصره، وتقلَّد مناصب مهمة في القضاء والإفتاء والتَّدريس، إضافة إلى تولِّيه نقابة الأشراف، وله مؤلَّفات مطبوعة(٧٨)، ووالده محمد ابن عاشور، الذي تولى رئاسة مجلس دائرة جمعيَّة الأوقاف(٧٩)، أما جَدُّه لأمِّه، فهو العالم الوزير محمد العزيز بُوعَتُّور (١٢٤٠-١٣٢٥هـ)، الذي تتلمذ على يد جده وتولَّى الوزارة الكبرى بعد مصطفى إسماعيل، وتحقَّقت على يديه إصلاحات نالت إعجابَ الوزراء وتقدير الأمراء(٨٠).

---

٧٥ - شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الحبيب ابن خوجة، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون، دولة قطر، (١٥٣/١).

٧٦ - تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (٣٠٤/٣).

٧٧ - شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره، لبلقاسم الغالي، ط١، دار ابن حزم بيروت، ص٣٧.

٧٨ - انظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره، ص٣٥.

٧٩ - نفسه، ص٣٦.

٨٠ - نفسه، ص٤١ – ٤٢.

تعلُّم القرآن الكريم في سنِّ السَّادسة، فقرأه وحفظه على المقرئ الشيخ محمد الخياري بمسجد سيدي أبي حديد[٨١]، ثم حفظ مجموعةً من المتون، وتلقَّى قواعد العربيَّة على الشيخ أحمد بن بدر الكافي[٨٢].

بعد ذلك التحق الشابُّ محمد الطاهر بجامع الزيتونة سنة ١٣١٠هـ = ١٨٩٣م[٨٣]، وقرأ فيه علوم القرآن والقراءات، والحديث، والفقه المالكي وأصوله، والفرائض، والسِّيرة، والتَّاريخ، والنَّحو واللُّغة والأدب والبلاغة، وعلم المنطق، كما تعلم الفرنسيَّة على يد أستاذه الخاصِّ أحمد بن ونَّاس المحمودي[٨٤].

وكما أنه درس في جامع الزيتونة فقد درَّس فيه وأصبح من شيوخه، بل وتولى مشيخته في مرتين؛ أدخل خلالهما إصلاحات مهمة في نظام التعليم[٨٥]، وعين كشيخ الإسلام المالكي، وشيخا على الجامع الأعظم[٨٦].

كما تنقل في مناصب القضاء والإفتاء وغيرها[٨٧]، ارتحل إلى المشرق العربي وأوروبا، وشارك في عدة ملتقيات إسلامية[٨٨]، كان عضوًا مراسلاً لمجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة، وبالمجمع العلمي العربي بدمشق[٨٩]، ألف عشرات الكتب في التفسير والحديث والأصول واللغة وغيرها. ومن مؤلفاته:

١- تحرير المعنى السديد ، وتنوير العقل الجديد ، في تفسير الكتاب المجيد، طبعته دار سحنون بتونس.

٢- مقاصد الشريعة الإسلامية، مطبوع، طبعته دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، سنة ٢٠١١م.

---

[٨١] ـ نفسه، ص٣٧.
[٨٢] ـ نفسه، ص٣٧.
[٨٣] ـ شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، (١٥٤/١).
[٨٤] ـ نفسه، (١٥٧/١).

[٨٥] ـانظر: تراجم المؤلفين التونسيين محمد محفوظ، (٣٠٥/٣).
[٨٦] انظر: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية ١٦٧/١
[٨٧] ـ انظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره، ص٦٢.
[٨٨] ـ انظر: تراجم المؤلفين التونسيين، (٣٠٦/٣).
[٨٩] ـ شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، (١٦٧/١).

٣- النظام الاجتماعي في الإسلام، مطبوع

٤- أليس الصبح بقريب، مطبوع

٥- كشف المعطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، مطبوع

٦- حاشية على التنقيح لشهاب الدين القرافي في أصول الفقه سمي التوضيح والتصحيح، مطبوع

٧- الوقف وأثره في الإسلام، مطبوع

٨- تعليق وتحقيق على شرح حديث أم زرع، مخطوط

٩- قضايا وأحكام شرعية، مخطوط.

١٠- آمال على مختصر خليل، مخطوط

١١- تعاليق على المطول وحاشية السيالكوتي، مخطوط.

١٢- أمالي على دلائل الإعجاز، مخطوط.

١٣- مراجعات تتعلق بكتابي : معجز أحمد واللامع للعزيزي، مخطوط.

١٤- أصول الإنشاء والخطابة، مطبوع

١٥- موجز البلاغة، مطبوع

١٦- شرح قصيدة الأعشى الأكبر في مدح المحلق، مطبوع

١٧- تحقيق ديوان بشار، بتحقيقه، مطبوع

١٨- الواضح في مشكلات المتنبي، بتحقيقه، مطبوع

١٦- سرقات المتنبي، بتحقيقه، مطبوع

٢٠- شرح ديوان الحماسة، مخطوط.

٢١- تحقيق قلائد العقبان للفتح بن خاقان، مطبوع

٢٢- ديوان النابغة الذبياني، جمع وشرح وتعليق، مطبوع

٢٣- تحقيق "مقدمة في النحو" لخلف الأحمر، مخطوط.

٢٤- تراجم لبعض الأعلام، مخطوط.

٢٥- تحقيق كتاب "الاقتضاب" للبطليوسي مع شرح كتاب أدب الكاتب، مخطوط

٢٦- جمع وشرح ديوان سحيم، مخطوط.

٢٧- شرح معلقة امرئ القيس، مخطوط.

٢٨- تحقيق لشرح القرشي على ديوان المتنبي، مخطوط.

٢٩- أصول التقدم في الإسلام، مخطوط. وغيرها...([٩٠])

٣- وفاته:

تُوفِّي محمد الطَّاهر ابن عاشور عن أربع وتسعين سنة في ضاحية المَرْسَى قرب تونُس العاصمة، يوم الأحد ١٣ من رجب سنة ١٣٩٤هـ الموافق ١٢ من آب (أغسطس) ١٩٧٣م. ووُري الثَّرى بمقبرة الزّلَّاج. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنَّاته([٩١]).

[٩٠] - انظر: تراجم المؤلفين التونسيين، (٣ / ٣٠٧- ٣٠٩).
[٩١] - تراجم المؤلفين التونسيين، (٣/ ٣٠٧).

ثانيا: منهج ابن عاشور في التفسير.

يعرف تفسيره بالتحرير والتنوير اختصارا [٩٢]، غير أن اسمه الكامل هو : " تحرير المعنى السديد ، وتنوير العقل الجديد ، في تفسير الكتاب المجيد"[٩٣] وهو تفسير قيم، وقد اشتمل على كثير من الفوائد واللطائف ، مع الحرص على تلمس الحِكم من الأحكام والتشريعات ، والإكثار من النقول عن الأئمة والعلماء في شتى العلوم سواء كانت شرعية أو لغوية أو بلاغية أو غيرها من فروع العلم .

وقد بين منهجه فيه في مقدمته فقال : " وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزعٌ جليلٌ قد عني به فخر الدين الرازي، وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى: «نظم الدرر في تناسب الآي والسور» إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنعٌ، فلم تزل أنظار المتأملين لفضل القول تتطلع. أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقا على المفسر"[٩٤].

ويواصل ابن عاشور متابعة خطته في كتابه فيقول: " ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنها فقرٌ متفرقةٌ تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله. واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة. وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده، ويتناول منه فوائد ونكتا على قدر استعداده، فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير، بحيث ساوى هذا التفسير على اختصاره مطولات القماطير، ففيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير.

---

[٩٢] - التحرير والتنوير ابن عاشور، الدار التونسية- تونس، (٩/١).
[٩٣] - نفسه، (٨/١).
[٩٤] - نفسه، (٨/١).

وسميته: «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» . واختصرت هذا الاسم باسم «التحرير والتنوير من التفسير»"[٩٥] ثم ابتدأ كتابه بعشر مقدمات قال عنها "تكون عونا للباحث في التفسير، وتغنيه عن معاد كثير"[٩٦]

لخص لنا ابن عاشور منهجه في تفسيره، ونلحظ أن له قواعد عامه في تفسير السورة، وهي في التالي:

١- تجده يدخل إلى تفسير السورة الكريمة ببعض الأمور المتعلقة بها وهي في غالبها تتعلق بمباحث علوم القرآن[٩٧].

٢- يسير ابن عاشور مع السورة مقسما إياها إلى مقاطع متفاوتة.

٣- يبتدئ باللفظة القرآنية متعرضا لمعانيها واشتقاقاتها وما يتعلق بها من أمور لغوية.

٤- يذكر نظائر الآية أو الآيات وهو ما يسمى بتفسير القرآن بالقرآن.

٥- يستشهد على ما يقول بالأحاديث الشريفة والآثار المروية.

٦- يعرض لبيان المناسبة بين المقطع المختار والآية التي قبلها.

٧- يعرض لخلاف العلماء عند المرور بآيات الأحكام والعقيدة.

٨- يعرض بعض الإشارات العلمية عند تفسيره لبعض الآيات القرآنية.

٩- يستخدم الحاشية لأغراض متعددة في تفسيره[٩٨].

---

[٩٥] - التحرير والتنوير، (٨/١).

[٩٦] - نفسه، (٩/١).

[٩٧] - انظر: منهج الإمام الطاهر ابن عاشور في التفسير "التحرير والتنوير"- نبيل أحمد صقر، ط١- الدار المصرية، ص٤٣-٥١.

[٩٨] - انظر: تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير دراسة منهجية- لجمال محمد أبو حسان، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، مخطوط، ص ٨١- ٨٢.

الفصل الأول: الخبر والإنشاء بين الرازي وابن عاشور

وفيـــــه:

أولا: التعريف بالخبر والإنشاء.

ثانيا: التوجيه البلاغي للخبر والإنشاء بين الشيخين في السورة الكريمة .

أولا: التعريف بالخبر والإنشاء.

أولا: الخبر:

حصر البلاغيون الكلام في الخبر والإنشاء، ووجه الحصر أن الكلام إما خبر أو إنشاء، لأنّه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه، أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج."[٩٩]

ويعرف الخبر بأنه كل كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته، وله غرضان[١٠٠]. هما: فائـدة الخبـر، ولازم الفائدة[١٠١].

فالأول: إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الخبر إن كان جاهلا به.

والثاني: إفادته أن المتكلم عالم بالحكم إن كان المخاطب عالمًا به[١٠٢].

وللمخاطب إزاء هذه الحال أنواع ثلاثة: ابتدائي، وطلبي، وإنكاري.

- الابتدائي: أن يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم المراد إفادته إياه.

- الطلبي: أن يكون مترددًا في الحكم المراد إفادته إياه.

- الإنكاري: أن يكون منكرًا للحكم المراد إخباره به، ومعتقدًا غيره[١٠٣].

وللخبر مؤكدات كثيرة منها:

إنّ، ولام الابتداء، وضمير الفصل، والقسم، وأمّا الشرطية، وقد، والسين، ونونا التوكيد الثقيلة والخفيفة، والحروف الزائدة، وحرفا التنبيه،ولن، وتكرير النفي.[١٠٤]

---

[٩٩] - انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل - بيروت، (١/ ٦٥).

[١٠٠] - انظر: أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة – المعاني، د/ أحمد مطلوب، ط١، دار القلم، وكالة المطبوعات الكويت، ص٨٩.

[١٠١] - انظر: مفتاح العلوم، للسكاكي، ت: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص ١٦٦.

[١٠٢]- انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني،(١/ ٦٦).

[١٠٣] - انظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، (١/ ٧١).

ثانيا: الإنشاء:

وهو قسيم الخبر في الكلام، ويعرف بأنه كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته(١٠٥)، و له قسمان: طلبي، وغير طلبي.

فالطلبي: هو ما يستدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، وهو خمسة أنواع: الأمر، النهى، الاستفهام، التمني، النداء.

أنواع الإنشاء الطلبي:

١- الأمر:

وهو صيغة تستدعى الفعل، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء(١٠٦).

٢- النهى:

وهو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام(١٠٧).

٣- الاستفهام:

وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، طلب حصول صورة الشيء المستفهم عنه في ذهن المستفهم، أي: طلب الفهم(١٠٨).

وللاستفهام أدوات كثيرة وهى نوعان:

الأول: حرفان وهما الهمزة وتستعمل لطلب للتصديق (النسبة)، والتصور (المفرد)، وهل وتستعمل لطلب التصديق.

---

١٠٤ - البلاغة العربية فنونها وأفنانها علم المعاني، د/ فضل حسن عباس، ط٧، دار الفرقان الأردن، ص١١٦-١١٧.

١٠٥ - انظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للعلوي، ط١ المكتبة العصرية - بيروت ، (١/ ٢٦) ومعجم البلاغة د/ بدوي طبانة، ط٣، دار المنارة جدة ودار الرافعي الرياض، ص٦٥٦.

١٠٦ - الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي،ط١، المكتبة العصرية - بيروت ، ٣/ ١٥٥.

١٠٧ - مفتاح العلوم للسكاكي، ص٣٢٠.

١٠٨ - انظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، للسبكي، ت: د/عبد الحميد هنداوي، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ، (١/ ٤٢٤)، ومعجم البلاغة، د/ بدوي طبانة، ص٥١٢،

الثاني: أسماء،هي تسعة لا يطلب بها إلا التصور: ما، من، أي، كم، كيف، أين، أنى، متى، أيان. ولكل واحدة منها اختصاص(١٠٩).

٤- التمني:

وهو توقع أمر محبوب في المستقبل، والفرق بينه وبين الترجي، أنّه يدخل المستحيلات والترجي لا يكون إلّا في الممكنات، وله أدوات ثلاث قد تستخدم للدلالة على الأداة الموضوعة له (ليت) وهي: هل، ولولا، ولعل(١١٠).

٥- النداء:

وهو طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد أدوات النداء، وله أدوات ثمانية، وهي: يا، أ، أيا، أي، آي، وا، هيا، والهمزة، ولكل أداة اختصاص(١١١).

---

١٠٩ - انظر: أساليب بلاغية الفصاحة- البلاغة- المعاني د/ أحمد مطلوب ص١١٨-١٢٠.

١١٠ - انظر: دلالات التراكيب دراسة بلاغية د/ محمد أبو موسى، ط٢، مكتبة وهبة ، ص١٤٩، و أساليب بلاغية الفصاحة- البلاغة- المعاني د/ أحمد مطلوب، ص١٢٦.

١١١ - انظر: في البلاغة العربية د/ عبد العزيز عتيق، ص١١٤-١١٥.

ثانيا: التوجيه البلاغي للخبر والإنشاء بين الشيخين في السورة الكريمة.

أولا: مسائل الخبر.

١- توجيه الخبر في قوله تعالى: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: ٢]

في قوله تعالى: : ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ إخبار وإعلام للنبي - صلى الله عليه وسلم- بأن الله ما أنزل عليه القرآن ليشقى بأمر الدعوة، ولم يكن النبي - صلى الله عليه وسلم- يجهل ذلك؛ ولهذا ألقي عليه الخبر بدون تأكيد فليس ثمة موضع إنكار، ولا مظنة شك في أن القرآن إنما نزل عليه - عليه الصلاة والسلام- لينعم به ويسعد، ولهذا سيقت الجملة الخبرية يراد بها الإعلام والإخبار بذلك، فهي " استئناف مسوق لتسليته صلى الله عليه وسلم عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب"(١١٢).

وقد ذهب الإمام الرازي في الآية الكريمة مذاهب شتى، حيث نقل عن صاحب الكشاف: إن جعلت طه تعديدا لأسماء الحروف فهذا ابتداء كلام وإن جعلتها اسما للسورة احتمل أن يكون قوله: ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ، والقرآن ظاهرٌ أوقع موقع المضمر، لأنها قرآنٌ وأن يكون جوابا لها وهي قسمٌ."(١١٣)

ومن الواضح أن الإمام الرازي لم يعرض للغرض المسوق له الخبر، وأنه سيق للتبليغ والتأكيد، في حين ذهب ابن عاشور إلى أنه أشعر بملاطفة النبي- صلى الله عليه وسلم- وأن الله لم يرد من إرساله وإنزال القرآن عليه أن يشقى بذلك(١١٤)،

---

١١٢ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي،ت: علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، (٨/ ٤٦٦).

١١٣ - التفسير الكبير، (٣/٢٢).

١١٤ - التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٨٤/١٦).

وفي هذا تنويهٌ بشأن المؤمنين الذين آمنوا بأنهم كانوا من أهل الخشية ولولا ذلك لما ادكروا بالقرآن(١١٥).

وقد كان ابن عاشور بالغ الدقة حين ألمح إلى أن الغرض من هذا الاستهلال، وهو الاطلاع بأمر التبليغ لكونه- صلى الله عليه وسلم- من أولى العزم من الرسل.

٢- توجيه تأكيد الخبر في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾ [طه:١٠]

ذكر الرازي سر تأكيد الخبر في سياق تحليل جملة ﴿آنَسْتُ﴾ فقال : " إِنِّي آنَسْتُ نَارًا أي أبصرت، والإيناس الإبصار البين الذي لا شبهة فيه، ومنه إنسان العين فإنه يبين به الشيء، والإنس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم، وقيل هو أيضا ما يؤنس به ولما وجد منه الإيناس وكان منتفيا حقيقة لهم، وأتى بكلمة إني لتوطين أنفسهم "(١١٦).

أما العلامة ابن عاشور فقال: " وتأكيد الخبر لقصد الاهتمام به بشارة لأهله إذ كانوا في الظلمة."(١١٧).

فالشيخان متفقان على أن الغرض من هذا التأكيد هو الإيناس والبشرى لأهل سيدنا موسى- عليه السلام- للتسرية عنهم حالة التيئيس والترويع المنبثقة من الظلمة؛ فقد أوشكوا على الهلاك، ولهذا سارع سيدنا موسى - عليه السلام- ببث الطمأنينة فيهم بتأكيد الخبر لهم؛ لينفي ما يداخل نفوسهم من شك.

٣-توجيه الخبر في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢].

---

١١٥ - انظر: التحرير والتنوير، (١٨٤/١٦).
١١٦ - التفسير الكبير، (١٥/٢٢).
١١٧ - التحرير والتنوير، (١٩٤/١٦).

ذهب الإمام الرازي إلى أن تكرير الضمير في قوله ﴿إني أنا ربك﴾ لتوكيد الدلالة وإزالة الشبهة(١١٨)، وقد نحا ابن عاشور نحوه فقال: " وتأكيد الخبر بحرف (إن) لتحقيقه لأجل غرابته دفعا لتطرق الشك عن موسى في مصدر هذا الكلام."(١١٩)، أما في الآية التالية فسنرى أن سر مجيء اللفظة بأكثر من مؤكد لحاجة المخاطب لذلك، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]

لم يشر الإمام الرازي لتوكيد الخبر، أما ابن عاشور فقد ألمح لذلك حيث قال: " وتأكيد الجملة بحرف التأكيد لدفع الشك عن موسى، نزل منزلة الشاك لأن غرابة الخبر تعرض السامع للشك فيه، وتوسيط ضمير الفصل بقوله: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ﴾ لزيادة تقوية الخبر"(١٢٠). فأضرب الخبر ثلاثة:

١- الابتدائي: وهو ما كان المخاطَب فيه خالي الذهن.
٢- والطلبي: هو ما كان المخاطب فيه مترددا شاكا في الحكم.
٣- والإنكاري: هو ما كان المخاطب فيه منكرا لحكم الخبر.

ويحسن أن يخلو من التوكيد في الأول، ويؤكد في الثاني، ويشدد التوكيد في الثالث، وقد ينزل خالي الذهن منزلة الشاك المتردد أو الجاحد المنكر، وقد يكون العكس لغرض بلاغي، ويعرف ذلك من السياق(١٢١)، وابن عاشور- رحمه الله- يجعل التوكيد في الآية مما نزل منزلة الشاك لغرابة الخبر، ويحتمل أن يكون من الخبر طلبي باعتبار غرابته؛ لأن الخبر كان لأول وهلة، وهو مما تترد فيه النفوس، لكن يرد هذا الاحتمال، أن الخبر كان بعد معاينة موسى- عليه السلام- معجزة العصا، واليد، وعليه فرأي ابن عاشور أقرب للصواب.

---

١١٨ - انظر: التفسير الكبير، (١٧/٢٢).
١١٩ - التحرير والتنوير، (١٩٦/١٦).
١٢٠ - التحرير والتنوير، (٢٠٠/١٦).
١٢١ - انظر: في البلاغة العربية علم المعاني، د/ عبد العزيز عتيق، ط١، دار النهضة، بيروت، ص ٥٢.

٤-توجيه الخبر في قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: ٦٨].

لأنه أوجس في نفسه خيفة لطبع الجبلة البشرية، وأنه لا يكاد يمكن الخلو من مثله. أو خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه. كما يقول الزمخشري(١٢٢) جاء الخطاب مؤكدا بأكثر من توكيد لاقتضاء المقام، قال الرازي: قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ " فيه أنواع من المبالغة. أحدها: ذكر كلمة التأكيد وهي إن. وثانيها: تكرير الضمير. وثالثها: لام التعريف. ورابعها: لفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة(١٢٣).

ونحا نحوه ابن عاشور حيث قال: لأن المقام مقام خوف أكد الجملة بحرف التأكيد وتقوية تأكيدها بضمير الفصل وبالتعريف في الأعلى وفيه دليل على أن ما خامره من الخوف إنما هو خوف ظهور السحرة عند العامة ولو في وقت ما. وهو وإن كان موقنا بأن الله ينجز له ما أرسله لأجله لكنه لا مانع من أن يستدرج الله الكفرة مدة قليلة لإظهار ثبات إيمان المؤمنين(١٢٤).

ثانيا: مسائل الإنشاء:

١- توجيه الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: ١٧].

الاستفهام هو طلب حصول صورة المستفهم عنه في الذهن(١٢٥)، ويخرج إلى أغراض بلاغية تفهم من السياق وقرائن الأحوال (١٢٦).

وتجد بعضها- كما ذكر محمد أبو موسى- لا يشخص لك بأحواله وتمامه إلا إذا راجعت سياقا طويلا ترى فيه خيوط المعنى تتولد قبل الاستفهام ثم تأتي الأداة

---

١٢٢ - انظر: الكشاف، (٣/ ٧٤).
١٢٣ - التفسير الكبير، (٢٢/ ٨٤).
١٢٤ - انظر: التحرير والتنوير، (١٦/ ٢٥٩).
١٢٥ - انظر: دلالات التراكيب، ص٢٠٤.
١٢٦ - انظر: البلاغة فنونها وأفنانها، ص١٩٧.

وكأنها تلخيص وتركيز(١٢٧). وأدوات الاستفهام لا تتوقف عند المعاني الأصلية التي ينتهي إليها أسلوب الاستفهام الحقيقي الذي يتطلب إجابة محددة، ولكن الاستفهام قد لا يبحث عن إجابة محددة؛ وإنما يبحث عن تصور ما للمتكلم دون أن يستفسر عن شيء(١٢٨).

وللاستفهام أدوات يعرف بها، منها (ما) التي يستفهم بها عن غير العاقل، ويطلب بها إما شرح الشيء أو ماهيته(١٢٩) ، وقد استعملت هنا لطلب معرفة شرح وصفة العصا، فهل استخدم الاستفهام هنا على حقيقته.؟

استبعد الرازي أن يكون الاستفهام في الآية لطلب العلم؛ لأن ذلك على الله محال، ومظنة ذلك عدة فوائد:

إحداها: تنبيه العقول على كمال قدرته ونهاية عظمته، قال رحمه الله: "من أراد أن يظهر من الشيء الحقير شيئا شريفا فإنه يأخذه، ويعرضه على الحاضرين ويقول لهم: هذا ما هو؟ فيقولون: هذا هو الشيء الفلاني، ثم إنه بعد إظهار صفته الفائقة فيه، يقول: لهم خذا منه كذا وكذا"(١٣٠).

وثانيها: إزالة الدهشة والحيرة. " لأنه لما تكلم معه أولا بكلام الإلهية وتحير موسى من الدهشة تكلم معه بكلام البشر إزالة لتلك الدهشة والحيرة، والنكتة فيه أنه لما غلبت الدهشة على موسى في الحضرة أراد رب العزة إزالتها فسأله عن العصا وهو لا يقع الغلط فيه."(١٣١).

وَثَالِثُهَا: التنبيه على قصر العقول عن معرفة صفات النبي " فإنه تعالى لما عرف موسى كمال الإلهية أراد أن يعرفه نقصان البشرية، فسأله عن منافع العصا فذكر بعضها فعرفه الله تعالى أن فيها منافع أعظم مما ذكر، تنبيها على أن العقول

---

١٢٧ - انظر: دلالات التراكيب، ص٢١٧.
١٢٨ - انظر: جماليات الخبر والإنشاء دراسة بلاغية جمالية نقدية، د/ حسين جمعة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص١٤٣.
١٢٩ - الإيضاح للقزويني، ص١٣٧.
١٣٠ - التفسير الكبير، (٢٥/٢٢).
١٣١ - نفسه، (٢٥/٢٢).

قاصرة عن معرفة صفات النبي الحاضر فلولا التوفيق والعصمة كيف يمكنهم الوصول إلى معرفة أجل الأشياء وأعظمها."[١٣٢].

ورابعها: لفت الأنظار إلى انقلاب العصا حية قال " أراد أن يقرر عنده أنها خشبة حتى إذا قلبها ثعبانا لا يخافها"[١٣٣].

أما ابن عاشور فقد ذهب إلى أن سر الاستفهام هنا هو تنبيه سيدنا موسى- عليه السلام- وإيقاظه ليوقن أنه ممسك بعصاه حتى إذا انقلبت حية لم يشك في أن تلك الحية هي التي كانت عصاه؛ وقوله ألقها يتضح به أن السؤال كان ذريعة إلى غرض سيأتي، وهو القرينة على أن الاستفهام في قوله: ﴿وما تلك بيمينك﴾ مستعمل في التنبيه إلى أهمية المسئول عنه كالذي يجيء في قوله: ﴿ وَما أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسى﴾ [طه: ٨٣] "[١٣٤].

وهو يرى أن الاستفهام جاء في تحقيق حقيقة المسئول عنه للتنبيه، ولفت النظر لأهمية المسئول عنه.

وقد رأينا كيف كان ذلك واضحا جليا في استنتاجهما لما ذهبا إليه، فالمقصود من الاستفهام هنا هو الإيقاظ وإثارة حركة الفكر والحس ليلتفت موسى- عليه السلام- بهذا الحضور الواعي إلى ما ستئول إليه تلك العصا الجامدة إلى حية تسعى، فيستوعب الموقف بخفاياه ودقائق همسه وكل حواشيه، لإزالة الدهشة والحيرة فمن شأن السؤال أن يطلب إجابة، وهو بهذا الجواب يخرج من حالة التلقي التي من شأنها أن تعزز هذه الحالة النفسية، بينما المشاركة في الحوار يخرج النفس من هذه الحالة الشعورية.

---

[١٣٢] - نفسه، (٢٥/٢٢).
[١٣٣] - نفسه، (٢٥/٢٢).
[١٣٤] - التحرير والتنوير، (٢١٥/١٦).

وتكرير النداء في قوله: ﴿ يَا مُوسى﴾ لزيادة الاستئناس والتنبيه(١٣٥)، فموسى- عليه السلام- في دهشة وحيرة، ومن شأن هذه الحالة أن تذهب بالنفس وتشتتها، فجاء بالاستفهام ثم أعقبه بالنداء لتصوير الحالة التي وصل إليها موسى- عليه السلام- لذلك استخدم النظم القرآني أداة النداء التي هي في أصل معناها لنداء البعيد لتنبيهه وإيقاظه من غفلته.

وتعداد منافع العصا باعتبار ما ستؤول إليه وأنها كانت سببا لهداية قومه، وقد أشار الرازي لهذا بقوله: إنه تعالى لما عرف موسى كمال الإلهية أراد أن يعرفه نقصان البشرية، فسأله عن منافع العصا فذكر بعضها فعرفه الله تعالى أن فيها منافع أعظم مما ذكر، تنبيها على أن العقول قاصرة عن معرفة صفات الشيء الحاضر، فلولا التوفيق والعصمة كيف يمكنهم الوصول إلى معرفة أجل الأشياء وأعظمها(١٣٦).

يقول محمد أبو موسى: " إن التركيب يختبئ في خصائصه وأحواله إشارات ودلائل مختلفة، والسياق هو المسئول عن استخراج مقتضياته من هذه الخصائص"(١٣٧)، ولننظر للإشارات التي كانت بمثابة الرابط بين ما توصل إليها المفسرون وبين جواب موسى عليه السلام، وذلك من خلال الإجمال والتفصيل في الجواب؛ ففي الإجمال دلالة نفعها المعجز الخفي، وفي دلالة التفصيل نفع العصا الحسي، فالإجمال ينطوي على أشياء كثيرة؛ وهي في ظاهرها خفي ولا يتأتى ذلك إلا بطول النظر، وقد يخفى بعضه على كثير من الناس، يقول الزمخشري: " ذَكَرَ على التفصيل والإجمال المنافع المتعلقة بالعصا، كأنه أحس بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى، فقال: ما هي إلا عصا لا تنفع إلا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان، ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه. ويجوز أن يريد عزّ وجلّ أن يعدّد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها

---

١٣٥ - انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل- البيضاوي تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١ - دار إحياء التراث العربي – بيروت ، (٢٥/٤).
١٣٦ - انظر التفسير الكبير، (٢٥/٢٢).
١٣٧ - دلالات التراكيب، ص٢٣٨.

ويستعظمها، ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة، كأنه يقول له: أين أنت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتدّ بها وتحتفل بشأنها"(١٣٨).

إذن نجد أن الاستفهام في الآية ينطوي على معاني كثيرة تتناسب مع المقام، ولو جاء بغير هذا الأسلوب لما أبرز هذه المعاني المتغارزة.

٢- توجيه الاستفهام قوله تعالى: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَاقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ [طه: ٨٦].

الاستفهام يخرج إلى معاني غير معناه الحقيقي؛ ومن معانيه التقرير، والإنكار، ولكل منهما قسمان؛ فالتقريري يأتي للتحقيق والتثبت، وآخر لإقرار المخاطب بما يريد المتكلم، والإنكاري منه ما يكون تكذيبي ومنه ما يكون توبيخي(١٣٩)، والاستفهام التقريري هو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه إثباتا ونفيا لغرض من الأغراض(١٤٠)، والإنكار التوبيخي بمعنى ما كان ينبغي أن يكون ويدل على الماضي ويجوز أن يدل على غير الماضي فيكون بمعنى لا يصح أن يكون ذلك منك والتكذيبي بمعنى لم يكن وهو في ما لم يحدث ولن يحدث(١٤١).

إذن الفرق بين التوبيخي والتكذيبي سواء في الماضي أو غيره؛ أن التوبيخي يأتي في أمر قد حدث وقد يحدث، أما التكذيبي فهو في ما لم يحدث ولن يحدث.

والاستفهام في الآية عند الرازي استفهام تقريري، فيكون المعنى أن موسى عليه السلام يريد أن يحمل قومه على الإقرار بالإيجاب بهذا الوعد، واستخدامه لهذا

---

١٣٨ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري جار الله، ط٣، دار الكتاب العربي – بيروت، (٧٥/٣).

١٣٩ ـ انظر: الإيضاح للقزويني، ص١٤١، والبلاغة فنونها وأفنانها ص١٩٧- ٢٠٣.

١٤٠ ـ انظر: في البلاغة علم المعاني عبد العزيز عتيق ص٩٩، و علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم د/ حسين طبل، ط٢، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ص٨٣.

١٤١ ـ انظر: الإيضاح للقزويني، ص١٤١، و البلاغة فنونها وأفنانها، ص٢٠٣-٢٠٤.

الأسلوب لأنه يريد أن يرجعهم إلى أنفسهم ويردد هذا السؤال فيهم؛ ليكون الأمر أدعى في أنفسهم، وذلك لأن العدول عن الإخبار إلى الاستفهام حمْل للمخاطب على الاعتراف بعد التدبر والأناة(١٤٢)، حيث قال - رحمه الله-: " ثم إن الله تعالى حكى عن موسى عليه السلام أنه عاتبهم بعد رجوعه إليهم، ومجموع تلك المعاتبات أمور. أحدها: قوله: يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا"(١٤٣) ، ثم أجاب على من افترض أن هذا القول من موسى عليه السلام بقوله: " إنما يتوجه عليهم لو كانوا معترفين بإله آخر سوى العجل أما لما اعتقدوا أنه لا إله سواه على ما أخبر الله تعالى عنهم أنهم قالوا هذا إلهكم وإله موسى كيف يتوجه عليهم هذا الكلام، بقوله: أنهم كانوا معترفين بالإله، لكنهم عبدوا العجل على التأويل الذي يذكره عبدة الأصنام"(١٤٤). وبهذا الجواب يتوجه قوله إلى أن الاستفهام عنده تقريري.

أما الاستفهام عند ابن عاشور فهو استفهام إنكاري توبيخي، قال- رحمه الله-: " والاستفهام في ألم يعدكم ربكم إنكاري، نزلوا منزلة من زعم أن الله لم يعدهم وعدا حسنا لأنهم أجروا أعمالهم على حال من يزعم ذلك فأنكر عليهم زعمهم. ويجوز أن يكون تقريريا"(١٤٥)، والمعنى عنده ما كان ينبغي منكم أن تنسوا وعد الله لكم.

إذن يرى الرازي أن الاستفهام في قوله: ﴿ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ استفهام تقريري جاء في سياق العتاب يريد منه موسى عليه السلام إقرار قومه بوعد الله لهم، ويراه ابن عاشور استفهاما إنكاريا توبيخيا، وأنا أميل إلى كفة الرازي إذ السياق في اللوم والعتاب، والمقام مقام وعظ وتعليم.

وقد نبه ابن عاشور إلى أهمية النداء في سياق العتاب بقوله: " وافتتاح الخطاب بـ (يا قوم) تمهيد للوم؛ لأن انجرار الأذى للرجل من قومه أحق في توجيه

---

١٤٢ - من بلاغة القرآن د/ أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر، ص١٢٧.
١٤٣ - التفسير الكبير، (١٠١/٢٢).
١٤٤ - التفسير الكبير، (١٠١/٢٢).
١٤٥ - التحرير والتنوير، (٢٨٢/١٦).

الملام عليهم، وذلك قوله: ﴿ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾."[١٤٦]، وقولنا ابتداء؛ لأن تقرير المخالف لغلطه أولا قبل الإنكار التوبيخي عليه أبلغ، فاعتراف الجاني بفعلته يجعل الإنكار عليه أقوى من لو استخدم الإنكار والتوبيخ ابتداء، وانظر: كيف وقع قوله تعالى: ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ [طه: ٨٦] بعد ما قررنا من لو كان الاستفهام في قوله: ﴿ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ للإنكار التوبيخي.

وبهذا يكون الغرض من التقرير أن يرجع القوم إلى أنفسهم بالإجابة على استفهام موسى- عليه السلام- فيكون وقع الإنكار عليهم بعد ذلك أشد وقعا وإيلاما.

٣- توجيه النداء قوله تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ﴾ من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ [طه: ٩٠].

يخرج النداء عن أغراضه الأصلية ، يستعمل لأغراض بلاغية مختلفة، ففي النداء إقامة علاقة مع الآخر ، وفيه حث على الاهتمام بموضوع الكلام كالدعوة له والتبصر فيه، ولهذا استخدمه هارون- عليه السلام- في نصحه لقومه حين رآهم قد ضلوا، فكانت دلالته الدعاء والخشوع والتضرّع والتلّطف والاستعطاف.

وعلى هذا ذهب الشيخان، فالرازي - رحمه الله- يرى أن خطاب هارون- عليه السلام- شفقة منه على نفسه وعلى الخلق[١٤٧]، ويرى ابن عاشور أن افتتاح الخطاب بـ (يَا قَوْمِ) تمهيد لمقام النصيحة[١٤٨].

---

[١٤٦] - التحرير والتنوير، (٢٨٢/١٦).
[١٤٧] - انظر: التفسير الكبير، (٢٢/ ٩١).
[١٤٨] - انظر: التحرير والتنوير، (١٦/ ٢٩٠).

وهناك من رأى أن دلالته للتوبيخ في الآية: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ [طه: ٩٠]، تأكيد لتوبيخهم وزيادة تقرير لجرمهم، والمعنى أنّهم إلى عدم تذكيرهم بما تذكّرهم به ضرورة عقولهم، وعدم انتهائهم عن عبادة العجل إلى البصر والعقل، لم يعتنوا بما قرعهم من طريق السمع أيضاً ، فلقد قال لهم نبيّهم هارون إنّه فتنة فتنوا به وإنّ ربّهم الرحمن عزَّ اسمه وإنّ من الواجب عليهم أن يتبعوه ويطيعوا أمره ويعبدوه ولا يعبدوا العجل موعظةً ونصحاً لهم(١٤٩)، وهو بعيد، إذ أغلب المفسرين على ما ذهب إليه الشيخان أن المقام مقام شفقة ونصح.

٤- توجيه النداء قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤].

تناول العالمان الجليلان أسرار نداء موسى عليه السلام أخيه هارون بقوله: ﴿ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ فقال الرازي" إنما خاطبه بذلك ليدفعه عنه فيتركه، وقيل: كان أخاه لأمه"(١٥٠)، وقال ابن عاشور: " وقوله في الجواب ابن أم نداء لقصد الترقيق والاستشفاع."(١٥١). وقد اختص هارون بالرفق كما ذكر المراغي في تفسيره بأمور منها:

(١) الفصاحة؛ لقول موسى هو أفصح منى لسانا.

(٢) الرفق؛ لقول هارون: ﴿ يا ابن أمّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾.(١٥٢).

---

١٤٩ - انظر: الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ط١، منشورات الأعلمي- بيروت،(١٤/ ١٩٢).
١٥٠ - التفسير الكبير، (١٠٩/٢٢).
١٥١ - التحرير والتنوير، (٢٩٢/١٦).
١٥٢ - تفسير المراغي، للمراغي، ط١، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، (١٦/ ١٠٧).

ولهذا استخدم هارون عليه السلام الأم، وما اختصاص الأم بالإضافة إلا استعظاما لحقها، وترقيقا لقلبه، واعتدادا لنسبها، وإشارة إلى أنهما من بطن واحد قال الزمخشري: " فإنَّما أضافه إلى الأم إشارة إلى أنَّهما من بطن واحد، وذلك أدعى إلى العطف والرقة وأعظم للواجب"(١٥٣)، وقد سبقه الطبري حين قال:" وقيل: إن هارون إنما قال لموسى عليه السلام: "يا ابن أم"، ولم يقل: "يا ابن أبي"، وهما لأب واحد وأم واحدة، استعطافا له على نفسه برحم الأم"(١٥٤).

إن المتكلم يحس بشعور قلق مضطرب؛ لهذا يسعى إلى إقامة التوازن في نفسه بهذا الخطاب، ويستعمل الأداة المناسبة للمقام المقتضى كما في قوله تعالى: على لسان هارون يخاطب أخاه موسى، وكان موسى قد خلفه في القوم، فلما رجع إليهم وجدهم عاكفين على عجلهم، فأخذ موسى برأسه ولحيته وجره إليه فقال: ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾، وقد نبه أحد الباحثين على سبب حذف الياء في آية سورة الأعراف ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠] وإثبات الياء في هذه الآية ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤] قال:" وقد يتساءل متسائل: ما بال خطاب النداء في الأولى استعمل من دون أداة؛ بينما في الآية الثانية أثبتت أداة النداء، واستعملت فيها (يا)؟ فالإجابة على هذا أن إثبات أداة النداء في الآية الثانية على شدة القرابة، وما تحمله كلمة (ابن أم) من التقرب والملاطفة والعطف لم تمنع استخدام أداة النداء (يا) فالمقام ، مقام مساءلة من موسى لأخيه: لماذا حدث ذلك في غيابه، ولم يكن قد أَخذ يعاتُبه فاستعملت (يا) لتراعي الحالة النفسية للنبي موسى، والمنادى (ابن أم) مراعاة لحالة

---

١٥٣ - الكشاف، للزمخشري، (٢/ ١٦١).

١٥٤ - جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، (١٣/ ١٣١).

هارون، فلما شرع موسى يجره بلحيته ورأسه اقتضى ذلك حذف أداة النداء للمبالغة في تأكيد التقرب والملاطفة والعطف."(١٥٥).

٥- توجيه الأمر في قوله تعالى: ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢].

الأمر هو طلب الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام، وله أربع صيغ ومنها فعل الأمر، غير أنه قد يخرج الأمر عن معناه الأصلي(١٥٦)، وقد استلهم الإمام الرازي أسرار التعبير بالأمر في قوله تعالى : ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ لا على معنى أنهم أمروه بذلك لكن أظهروا أن ذلك الوعيد لا يزيلهم البتة عن إيمانهم وعما عرفوه من الحق علما وعملا."(١٥٧).

أما ابن عاشور فقد استلهم من التعبير بالأمر معنى التسوية فقال:" لأن ما أنت قاض ما صدقه ما توعدهم به من تقطيع الأيدي والأرجل والصلب، أي سواء علينا ذلك بعضه أو كله أو عدم وقوعه، فلا نطلب منك خلاصا منه جزاء طاعتك فافعل ما أنت فاعل"(١٥٨).

والتسوية هي: طلب على جهة المساواة بين أمرين لا على جهة التخيير بينهما؛ كقوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ﴾ [الطور: ١٦] (١٥٩)

وقول المتنبي:

عِشْ عزيزاً أو مُتْ وأنتَ كريمٌ بين طَعْنِ الَقنا وخفقِ البنودِ(١٦٠)

فالسحرة لم يعد يهمهم شيء أيا كان قضاء فرعون فيهم، وهذا ما ذهب إليه ابن عاشور، وبلاغة الأمر هنا واضحة، حيث يدل على عمق إيمانهم بعد ما عاينوه

---

١٥٥ - جماليات الخبر والإنشاء، ص١٩٠.
١٥٦ - أساليب بلاغية، د/ أحمد مطلوب، ص١١٠.
١٥٧ - التفسير الكبير، (٨٩/٢٢).
١٥٨ - التحرير والتنوير، (٢٦٦/١٦).
١٥٩- انظر: جماليات الخبر والإنشاء، د/ حسين جمعة، ص١١٤.
١٦٠ - ديوان المتنبي، اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي، ط٣، دار المعرفة- بيروت، ص١٩.

من صدق نبوة موسى عليه السلام، فجاءوا بصيغة الأمر على سبيل التحدي، ونجد في استخدامهم فعل الأمر في قولهم (فاقض)، دليلا على صدق إيمانهم وقوة عزيمتهم، وقد فهم بعض الباحثين أن الأمر هنا جاء لمعاني أخرى؛ كالتفويض، والتسليم([١٦١]).

[١٦١] - انظر: جماليات الخبر والإنشاء، د/ حسين جمعة، ص١١٦، و أساليب بلاغية، د/ أحمد مطلوب، ص١١٦، و في البلاغة علم المعاني، د/ عبد العزيز عتيق، ص٨٢.

الفصل الثاني: المسند والمسند إليه.

وفيه:

أولا: التعريف بالمسند إليه والمسند.

ثانيا: توجيه أحوال المسند إليه والمسند في سورة طه بين الشيخين.

أولا: تعريف المسند والمسند إليه:

١ ــ المسند إليه:

المسند إليه أحد ركني الجملة، بل هو الركن الأساس لأنه عبارة عن الذات، والمسند كالوصف له، (والذات) أقوى في الثبوت من الوصف. وإذا كانت الإفادة تفتقر إلى كليهما فإن افتقارها وحاجتها إلى الدال منهما على الذات الثابتة أشد في الحاجة عند قصد الإفادة من الدال على الوصف العارض(١٦٢)، ويسمى المحكوم عليه أو المتحدث عنه وله ستة مواضع.

١- الفاعل للفعل التام.

٢- أسماء النواسخ: كان وأخواتها، وإن وأخواتها.

٣- المبتدأ الذي له خبر.

٤- المفعول الأول لظن وأخواتها.

٥- المفعول الثاني لأرى وأخواتها.

٦- نائب الفاعل(١٦٣).

٢ــ المسند:

يأتي المسند لإفادة السامع إمّا حكما على أمر معلوم له بطريق من طرق التعريف بأمر آخر معلوم له كذلك، وإما لازم حكم بين أمرين كذلك(١٦٤). إذن فهو المحكوم به أو المخبر به، ويكون المسند في ثمانية مواضع.

١- خبر المبتدأ.

---

١٦٢ - انظر: في البلاغة العربية علم المعاني د/ عبد العزيز عتيق، ص ١٢٢.
١٦٣ - انظر: معجم البلاغة العربية للدكتور بدوي طبانة، ط٣، دار المنار جدة ، ص٢٨٣.
١٦٤ - انظر: أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة - المعاني د/ أحمد مطلوب، ص١٥٢.

٢- الفعل التام.

٣- اسم الفعل.

٤- المبتدأ الوصف المستغني عن الخبر بمرفوعه.

٥- أخبار النواسخ: كان وأخواتها، وإن وأخواتها.

٦- المفعول الثاني لظن وأخواتها.

٧- المفعول الثالث لأرى وأخواتها.

٨- المصدر النائب عن فعل الأمر(١٦٥).

والمسند إليه والمسند هما ركنا الجملة، وما زاد عليهما- غير المضاف إليه والصلة- فهو قيد أو تكملة أو فضلة وهى: أدوات الشرط والنفي، والمفعولات، والحال، والتوابع، والنواسخ، وليس معنى ذلك أنّ الفضلة أو القيد لا قيمة لها بل لها دور كبير فى العبارة، ولكنها سميت كذلك لأنّها خارجة عن الإسناد(١٦٦).

والمسند إليه والمسند اللذان يمثلان جزأي الجملة، أو ركنيهما الأساسيين قد تلحقهما- لأغراض بلاغية- أحوال من التقديم والتأخير، أو الذكر والحذف، أو التعريف والتنكير.

---

١٦٥ - انظر: معجم البلاغة العربية، ص٢٨٣.

١٦٦ - انظر: أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة – المعاني، ص١٤٠.

ثانيا: توجيه أحوال المسند إليه والمسند في سورة طه بين الشيخين.

١- توجيه تقديم المسند إليه على المسند الفعلي في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه: ١٣]

قسم البلاغيون تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي إلى ثلاثة أقسام، وهي: إما أن يكون في معرض النفي، أو في معرض الإثبات، أو تقديم المسند في معرض كل منهما على المسند المشتق(١٦٧)، ونحن هنا أمام مسألة تقديم المسند إليه على المسند الفعلي في حالة الإثبات، وفي هذه المسألة إما أن يكون غرض تقديم المسند إليه للتخصيص، أو لتقوية الحكم، أو بهما إذا دلت القرائن على ذلك طبعا إذا كان المسند إليه معرفة كما هو معنا(١٦٨).

يرى الإمام الرازي أن تقديم المسند إليه على المسند الفعلي في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ للتخصيص، بينما يراه ابن عاشور لتقوية الحكم وزيادة تأكيده؛ لأن المقام ليس مقام إفادة التخصيص، يقول الرازي:" معناه اخترتك للرسالة وللكلام الذي خصصتك به، وهذه الآية تدل على أن النبوة لا تحصل بالاستحقاق لأن قوله: وأنا اخترتك يدل على أن ذلك المنصب العلي إنما حصل لأن الله تعالى اختاره له ابتداء لا أنه استحقه على الله تعالى."(١٦٩).

أما ابن عاشور فقال: وقوله وأنا اخترتك أخبر عن اختيار الله تعالى موسى بطريق المسند الفعلي المفيد تقوية الحكم، لأن المقام ليس مقام إفادة التخصيص، أي الحصر نحو: أنا سعيت في حاجتك، وهو يعطي الجزيل. وموجب التقوي هو غرابة الخبر ومفاجأته به دفعا لتطرق الشك في نفسه(١٧٠).

---

١٦٧ - انظر: خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالتها البلاغية في تفسير "التحرير والتوير"، رسالة دكتوراه للدكتور إبراهيم على الجعيد إشراف الدكتور محمد محمد أبو موسى جامعة أم القرى- مخطوط ص١٤٢.

١٦٨ - انظر: البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني ص٢٢٩.

١٦٩ - التفسير الكبير، (٢٢/ ١٩).

١٧٠ - التحرير والتنوير، (١٦/ ١٩٨).

حينئذ يكون توجيه المعنى عند الرازي بناء على ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ أي: أنا لا غيري اخترتك، فاستمع لما سأوحيه لك، قال صاحب الكشاف لِما يُوحى للذي يوحى، أو للوحي، تعلق اللام بـ (استمع)(١٧١)، ويدل عليه قوله: (فاستمع) فالفاء للتعقيب والأمر للوجوب، ولهذا قال الرازي: " قوله: فاستمع لما يوحى فيه نهاية الهيبة والجلالة فكأنه قال: لقد جاءك أمر عظيم هائل فتأهب له واجعل كل عقلك وخاطرك مصروفا إليه فقوله: وأنا اخترتك يفيد نهاية اللطف والرحمة وقوله: فاستمع يفيد نهاية الهيبة فيحصل له من الأول نهاية الرجاء ومن الثاني نهاية الخوف."(١٧٢). إذن فالتركيب في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ عند الرازي جاء لطمأنة موسى عليه السلام وذلك من خلال علمه أن من اختصه هو الله، فالمقام مقام هيبة فرضتها غرابة الموقف، لهذا طمأن الله موسى -عليه السلام- ليستعد لما هو مقدم عليه؛ وذلك من خلال معرفته أن وراءه ومعينه هو الله.

أما التقديم عند ابن عاشور فجاء لتقوية الحكم، فليس فيه نفي حكم الاختيار عن الله؛ إذ معنى التخصيص إثبات الحكم (الاختيار) لله ونفيه عن غيره، بينما تقوية الحكم لا يقصد النفي بل الإثبات فقط(١٧٣)، وعليه سيكون المعنى عن ابن عاشور هو إثبات الاختيار من قبل الله لموسى- عليه السلام- وتوكيده؛ لأن المقام مقام غرابة الخبر ومفاجئته، مما يحتاج إلى تقوية لدفع الشك عن موسى عليه السلام، وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني سبعة مواضع يحتاج الأمر فيها إلى توكيد، وذكر منها التأكيد في كل أمر مستغرب وفي ما هو على خلاف العادة(١٧٤).

والذي يظهر لي أن التقديم هنا جاء للاختصاص، بقرينة الأمر الواجب على موسى -عليه السلام- فعله والامتثال إليه وتطبيقه؛ لأن الذي فعل الاختيار هو

---

١٧١ - انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (٣/ ٥٥).
١٧٢ - التفسير الكبير، (١٩/٢٢).
١٧٣ - انظر: البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني ص٢٢٤.
١٧٤ - انظر: دلائل الإعجاز ص١٣٤.

الله لا غيره؛ مما يقوي عزيمة موسى- عليه السلام- في تبليغ الرسالة، وألا تأخذه هيبة ولا رهبة مما سيجده من معاناة في تبليغ رسالته.

١- توجيه ذكر المسند إليه في قوله تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [طه: ١٨]

يُفهم مما ذكره الرازي- رحمة الله عليه- أن السر في ذكر المسند إليه هو في إطالة الكلام؛ فالمقام مقام تشريف، وفي هذا يقول: " بقوله ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ فقد تم الجواب، إلا أنه عليه السلام ذكر الوجوه الأخر لأنه كان يحب المكالمة مع ربه فجعل ذلك كالوسيلة إلى تحصيل هذا الغرض"(١٧٥).

وقد نحا ابن عاشور-رحمه الله- نحو الرازي في قوله السابق، فقال: " قوله تعالى: ﴿ هِيَ عَصايَ﴾ بذكر المسند إليه، مع أن غالب الاستعمال حذفه في مقام السؤال للاستغناء عن ذكره في الجواب بوقوعه مسئولا عنه، فكان الإيجاز يقتضي أن يقول: عصاي. فلما قال: هي عصاي كان الأسلوب أسلوب كلام من يتعجب من الاحتياج إلى الإخبار، كما يقول سائل لما رأى رجلا يعرفه وآخر لا يعرفه: من هذا معك؟ فيقول: فلان، فإذا لقيهما مرة أخرى وسأله: من هذا معك؟ أجابه: هو فلان، ولذلك عقب موسى جوابه ببيان الغرض من اتخاذها لعله أن يكون هو قصد السائل فَقَالَ: ﴿ أَتَوَكَّأ عَلَيْها وَأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي وَلِيَ فِيها مَآرِبُ أُخْرى﴾"(١٧٦). وفي قوله: "وكان الإيجاز يقتضي" يستشف منه أن الذكر إنما جاء لأجل إطالة الكلام.

لا يخفى أن ذكر المسند إليه هو الأصل الذي لا يبحث عن غرضه إلا إذا كان الأصل فيه أن يضمر ثم أظهر، ومن هنا يحق لنا في مجال البلاغة أن نبحث

---

١٧٥ - التفسير الكبير، (٢٢/ ٢٦).
١٧٦ - التحرير والتنوير، (١٦/ ٢٥٠-٢٥١).

عن سر إظهاره(١٧٧)، وذكره هنا للاستئناس ولرغبة الإطالة في الكلام كما ذكر ابن عاشور حين قال: " فَقَالَ: ﴿ هِيَ عَصايَ﴾، بذكر المسند إليه، مع أن غالب الاستعمال حذفه في مقام السؤال للاستغناء عن ذكره في الجواب بوقوعه مسئولا عنه"

وعند تدقيق النظر في كلام الرازي نجد أنه لم يصرح بالمعنى البلاغي لذكر المسند إليه، غير أنه يفهم من كلامه أن الذكر جاء في مقام البسط، حيث تجمل إطالة القول ولهذا قال: إلا أنه عليه السلام ذكر الوجوه الأخر؛ لأنه كان يحب المكالمة مع ربه، فجعل ذلك كالوسيلة إلى تحصيل هذا الغرض، إذن هو التلذذ بالإطالة من خلال ذكر المسند إليه، وقد أجاب موسى ربه فقال: هي عصاي. وبهذا تم الجواب ولكنه عليه السلام أحب المزيد من مكالمة ربه، استئناسًا به، وفرحًا بمناجاته، فاغتنم الفرصة لذلك في مقام البسط ، حيث قال الألوسي : " وذكر المسند إليه وإن كان هو الأصل لرغبته عليه السّلام في المناجاة ومزيد لذاذته بذلك"(١٧٨).

ومن ثمَّ يكون سبب ذكر منافع العصا من غير سؤال عنها؛ ليوضح شدة حاجته إليها واستعانته بها لئلا يكون عابئاً بحملها(١٧٩)، أو أنه جواب على سؤالين مضمرين أحدهما: أنه لما قيل له: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ ، قال موسى: عصا، ثم قيل له: ولمن هي قال عصاي. والثاني: أنه قيل: وما تصنع بها، فقال: ﴿أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ (١٨٠)، وفي قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ " دلالة أن الإنسان إذا استُخْبِرَ عن شيء، فإن عليه أن يخبر المستخبر عما يستخبر على الإجابة له، ولو كان يعلم أن المستخبر له عن ذلك عالم بذلك؛ لأن موسى كان يعلم أن ربه كان أعلم بما في

---

١٧٧ ـ انظر: البلاغة الوظيفية علوم البلاغة وتجلي القيمة الوظيفية في قصص العرب، ص٦٨.

١٧٨ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (٤٨٩/٨).

١٧٩ ـ انظر: تفسير الماوردي = النكت والعيون، للماوردي تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت، (٣/ ٣٣٩).

١٨٠ ـ انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، لبرهان الدين الكرماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية ـ جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت، (٧١٤/٢).

يده منه، ولم يقل له حين استخبر عما في يده: إنك أنت أعلم به مني، ولكنه قال: هي عصاي إجابة له وتعظيمًا لأمره، واللَّه أعلم"(١٨١).

أما العلامة ابن عاشور فقد ذهب إلى أن أسلوب الكلام جرى على طريقة من يتعجب من الاحتياج إلى الإخبار"(١٨٢).

والذي أراه أن ذكر المسند إليه في قوله تعالى: ﴿ هِيَ عَصَايَ﴾ هنا يحتمل أن تكون للتحقير، أو التعظيم كما قال الطيبي معلقا على قول الزمخشري " ما هي إلا عصا لا تنفع إلا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان، ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه."(١٨٣)، لأنه تعالى إنما سأله ليريه عظم ما يخترعه من الخشبة اليابسة، وموسى-عليه السلام- تفطن لذلك، وأتى بالجواب مطابقاً للغرض، وقال: ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [طه: ١٨] وكان يكفي أن يقول: عصا، أي: ليست إلا هذه الخشبة اليابسة التي منافعها معلومة عند كل أحد؛ فعلى الأول: التعداد لأجل تحقير شأنها، وقوله: ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ التتميم للتحقير، أي: مآرب معدودة، وعلى الثاني: التعداد لأجل التعظيم، و ﴿ مَآرِبُ أُخْرَى﴾: تتميم للتفخيم، أي: لا تُحصى ولا تُعد، ولعل هذا التوجيه هو أفضل الوجوه المذكورة، ولذلك نبهه في النداء بقوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾، أي: تفطن لها؛ لأنها مما اشتملت على مرافق عجيبةٍ وآياتٍ عظيمة، ومن ثم أجاب موسى بما عرفه منها من المنافع والمآرب ثم نبهه تعالى على منفعة أعظم منها بقوله: ﴿ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾، فكرر النداء اهتماماً بشأنها، وإليه الإشارة بقوله: أين أنت عن هذه المنفعة العظمى؟، فإجراء هذه الصفات على

---

١٨١ ـ تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، للماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ، (٧/ ٢٧٦).
١٨٢ ـ التحرير والتنوير، (١٦/ ٢٥٠).
١٨٣ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. للزمخشري (٣/ ٥٧).

العصا كإجراء النعوت المادحة نداء على الجميل وإبداء للصنيع الذي يستزيد مواجب الشكر(١٨٤).

وليس يفهم من قوله " ليست إلا هذه الخشبة اليابسة التي منافعها معلومة عند كل أحد." إلا التحقير، وهو أليق بالمقام، وأرى أن ذكر المسند إليه في الآية جاء للتهوين من شأن العصا، والاسترسال في ذكر منافعها من باب جواز الزيادة في الجواب على قدر السؤال، مثل قول الرسول - صلى الله عليه وسلم- هو الطهور ماؤه الحل ميتته(١٨٥).

٣- توجيه حذف المسند إليه في قوله تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: ٧٠].

نقل الإمام الرازي ما ذكره الأخفش أن حذف المسند إليه في قوله تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ﴾ يقصد به الإيجاز للدلالة على سرعة وقوع السجود من السحرة رغبة منهم في ذلك، حيث قال: " أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً﴾ فَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ أنهم أجبروا على السجود وإلا لَمَا كَانُوا مَحْمُودِينَ، بَلِ التَّأْوِيلُ فِيهِ مَا قَالَ: الْأَخْفَشُ وَهُوَ أَنَّهُمْ مِنْ سُرْعَةِ مَا سَجَدُوا كَأَنَّهُمْ أُلْقُوا"(١٨٦)، وفاعل الإلقاء المحذوف عنده هو الله، حيث قال في تفسيره على سورة الشعراء " فَإِنْ قِيلَ فَاعِلُ الْإِلْقَاءِ مَا هُوَ لَوْ صَرَّحَ بِهِ؟ جَوَابُهُ: هُوَ اللَّه تَعَالَى"(١٨٧).

أما ابن عاشور فيرى أن إسناد الفعل للمجهول للدلالة على أن الأمر عائد إليهم؛ إذ لا ملقي لهم غير أنفسهم، فحذف الفاعل للدلالة على ذلك حيث قال ابن عاشور فقال: " وَالْإِلْقَاءُ: الطَّرْحُ عَلَى الْأَرْضِ. وَأَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَى الْمَجْهُولِ لِأَنَّهُمْ لَا

---

١٨٤ - انظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، للطيبي، المشرف العام على الإخراج العلمي د. محمد عبد الرحيم ، ط١ ، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، (١٠/ ١٥٢).

١٨٥ - سنن أبي داؤد

١٨٦ - التفسير الكبير، (٨٦/٢٢).

١٨٧ - نفسه، (٢٤/ ١٣٥).

مُلْقِيَ لَهُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: فَأَلْقَوْا أَنْفُسَهُمْ سُجَّدًا، فَإِنَّ سُجُودَهُمْ كَانَ إِعْلَانًا بِاعْتِرَافِهِمْ أَنَّ مُوسَى مُرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ سُجُودُهُمْ تَعْظِيمًا لِلَّهِ تَعَالَى.وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ دَلَالَةً عَلَى تَغَلُّبِ مُوسَى عَلَيْهِمْ فَسَجَدُوا تَعْظِيمًا لَهُ"(١٨٨).

وعند إنعام النظر في كلا الرأيين، نجد أن كلام ابن عاشور فيه زيادة عن كلام الرازي، فقد نصَّ على فائدة السجود، واحتمل كلامه ثلاثة أوجه؛ إما أن يكون سجودهم اعترافا منهم أن موسى- عليه السلام- مرسل من الله، وإما أن يكون سجودهم تعظيما له سبحانه، وإما أن يكون سجودهم تعظيما لموسى لغلبته عليهم، أما الرازي فقد اقتصر كلامه على حذف الفاعل، وبلاغة حذفه ومناسبته للمقام، فكأن السحرة من سرعة سجودهم كأنهم ألقوا، فعدم ترددهم وتلعثمهم وخرورهم سريعا كان ببركة تَحْقِيقِهِمْ فِي عِلْمِ السِّحْرِ الذي أنتج علمهم، وذلك بأن مثل ذلك خارج عن حدود السحر، وأنه أمر إلهي قد ظهر على يده عليه السلام(١٨٩).

والفاعل هنا كما ذكر الزمخشري هو الله، وجوَّز أن يكون إيمانهم أو ما عاينوا من المعجزة الباهرة، ثم قال: ولك أن لا تقدر فاعلا لأن (ألقي) بمعنى خروا وسقطوا(١٩٠)، وتعقب أبو حيان رأي الزمخشري الأخير، فقال: بأنه ليس بشيء إذ لا يمكن أن يبني الفعل للمفعول الذي لم يسم فاعله إلا وقد حذف الفاعل فناب ذلك عنه(١٩١)، كما تعقبه الألوسي بقوله: " أما أنه لا يقدر فاعل فقوله ذاهب عن الصواب، ووجه ذلك صاحب الكشف بأنه أراد أنه لا يحتاج إلى تقدير فاعل آخر غير من أسند إليه المجهول لأنه فاعل الإلقاء ألا ترى أنك لو فسرت سقط بألقى نفسه لصح، وقال الطيبي بأنه أراد أنه لا يحتاج إلى تعيين فاعل لأن المقصود

---

١٨٨ - التحرير والتنوير، (١٦/ ٢٦١).
١٨٩ - انظر: التفسير الكبير، (٢٤/ ٥٠٣).
١٩٠ - انظر: الكشاف، (٣/ ٣١٣).
١٩١ - انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل،ط، دار الفكر، بيروت، (٨/ ١٥٥).

الملقى لا تعيين من ألقاه كما تقول قتل الخارجي. وأنت تعلم أن التعليل الذي ذكره الزمخشري إلى ما اختاره صاحب الكشف أقرب"[١٩٢].

تلاحظ أن الرازي قد جعل عدم تقدير الفاعل أولى، فهو سائر على نهج الزمخشري، بينما ابن عاشور لم يتطرق إلى هذا، وبالجملة نجد أن الحذف جاء لإرادة الدلالة على سرعة استجابة السحرة لموسى لما تبين لهم صدق معجزته.

ويجدر بنا هنا أن نذكر فائدة لابن المنير السكندري تضفي معنى إضافيا عما ذكر وهو أنهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الإلقاءين وفي تكرير لفظ الإلقاء والعدول عن مثل: فسجد السحرة، إيقاظ السامع لألطاف الله تعالى في نقله عباده من غاية الكفر والعناد إلى نهاية الإيمان والسداد، وهذا الإيقاظ لا يحصل على الوجه إلى هذا القصد إلا بتكرير لفظ واحد على معنيين متناقضين[١٩٣].

٤- توجيه تعريف المسند إليه بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨].

الموصول اسم يعين مسماه بواسطة جملة تأتي بعده تسمى بجملة الصلة، وقد يكون المخاطب لا يعلم شيئًا عن ذات المسند إليه سوى مضمون هذه الجملة؛ لذا يعمد المتكلم في هذا المقام إلى التعبير عن ذات المسند إليه باسم الموصول فيتعين بواسطة الصلة لدى المخاطب، ويتسنى بتعريفه بالموصولية للمتكلم والإخبار عنه والحكم عليه، كأن ترى عند أحد أصدقائك رجلًا لا عهد له به من قبل فتقول له في الغد: الذي كان عندك أمس رجل عالم، أو لا عهد لك أنت به

---

[١٩٢] - روح المعاني، (١٠/ ٧٨).
[١٩٣] - الانتصاف فيما تضمنه الكشاف، لابن المنير السكندري، حاشية الكشاف، (٣/ ٧٥).

من قبل، حيث لا تعرف عنه سوى مضمون الصلة، فتورده معرفًا بالموصولية حتى تتمكن من الإخبار عنه أو الحكم عليه(١٩٤).

وقد ذكر الإمام الرازي أن تعريف المسند إليه بالاسم الموصول في الآية للتعظيم، ونصه في ذلك قوله : " أما قوله: ﴿ فَغَشِيَهُمْ ﴾فالمعنى: علاهم وسترهم وما غشيهم تعظيم للأمر أي غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى"(١٩٥)

بينما ذهب ابن عاشور إلى أن التعريف للتهويل، ونصه في ذلك: " وقوله ما غشيهم يفيد ما أفاده قوله فغشيهم من اليم إذ من المعلوم أنهم غشيهم غاش، فتعين أن المقصود منه التهويل"(١٩٦).

وقد أضاف ابن عاشور إلى هذ الوجه وجها آخر، وهو قصد الاختصار فيما نقله عن الزمخشري فقال: " ﴿ما غَشِيَهُمْ﴾ من باب الاختصار، ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة، أى: غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله"(١٩٧).

وجعل بعض البلاغيين الآية من باب الإيجاز، ومنهم السكاكي فقد وضع الآية في باب الإيجاز قال: "وقوله: ﴿ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ أظهر من أن يخفى حاله في الوجازة نظرا على ما ناب عنه"(١٩٨)، وتبعه ابن الأثير إذ جعله من باب الإيجاز بالقصر - الذي هو فرع من الإيجاز عنده- والذي قسمه إلى قسمين وجعل هذا من ما يدل على محتملات متعددة(١٩٩)، ويبدو أنهما تبعا الزمخشري إذ

---

١٩٤ - انظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، نور الدين الأُشْمُوني، ط١، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، (١/ ١٢٦).

١٩٥ - التفسير الكبير، (٢٢/ ٩٣).

١٩٦ - التحرير والتنوير، (١٦/ ٢٧٢).

١٩٧ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (٣/ ٧٨).

١٩٨ - مفتاح العلوم، للسكاكي، ص٢٧٧.

١٩٩ - انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المؤلف: ضياء الدين لابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، (٢/ ٢٧٢).

رآه من الاختصار، ويظهر والله أعلم أن ابن عاشور ومن خلال نقل كلام الزمخشري قد تبعهما في هذا.

أما القزويني فلم يشر للإيجاز بل نص على أن التعريف بالموصول في الآية للتفخيم (٢٠٠)، وتبعه المحدثون، ولا نجد في قول الرازي ما يدل على الغرضين، فهو يرى أنه للتعظيم فقط.

فالاستخدام القرآني لهذا الأسلوب فيه من الاختصار والإيجاز ما فيه كما قال السكاكي، فما الموصولة قد أخفت خلفها هولٌ عظيم، وقد أفادت الآية هذا بأقصر الطرق كما قال الزمخشري، فـ (ما) الملفعة بالظلال والضباب، لم تكن لتوصل معنى الهول لو لم تضبب رؤية الغاشي الذي غشا فرعون وجنوده، وقد أحس البلاغيون بجلال هذه الأساليب التي لها في النفوس سحر وخلابة، ففسروها تفسيرًا نفسيا بديعا(٢٠١)، وقال العلوي: " إن النفس إذا وقعت على كلام غير تام بالمقصود منه تشوقت إلى كماله، فلو وقعت على تمام المقصود منه لم يبق لها هناك تشوق أصلا؛ لأن تحصيل الحاصل محال، وإن لم تقف على شيء منه، فلا شوق لها هناك، فأما إذا عرفته من بعض الوجوه دون بعض، فإن القدر المعلوم يحدث شوقا إلى ما ليس بمعلوم"(٢٠٢).

ثم إن هذه الضبابية جاءت مناسبة لنوع العذاب الذي عذب الله به فرعون وجنوده في الدنيا، فالرؤية لذلك رؤية ضبابية للخاصية التي يتمتع بها الماء.

٥- توجيه التنكير في قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]

---

٢٠٠ - الإيضاح، (٢/ ١٤).

٢٠١ - انظر: خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د/ محمد محمد أبو موسى، ص١٩٩.

٢٠٢ - الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للعلوي، (١/ ٤٥).

جاء قوله تعالى: (كيد ساحر) منكرا، فـ (كيد) خبر إنّ مرفوع[٢٠٣]، فهي على معنى أن الذي صنعوه كيد ساحرٍ[٢٠٤]، وتنكير المضاف إليه (ساحر) من أجل تنكير المضاف، لا من أجل تنكيره في نفسه، كقول العجاج:

مِنْ نُزُلٍ إذا الأُمُورُ غَبَّتِ مِنْ سَعْي دُنْيَا طَالَ ما قَدْ مُدَّتِ[٢٠٥]

وفي حديث عمر رضي الله عنه «لا في أمر دنيا ولا في أمر آخرة»

فالمعنى كأنه قيل: إن ما صنعوا كيد سحري. وفي سعى دنيوي. وأمر دنيوي وآخري"[٢٠٦]، وعلق الألوسي بقوله: ولو عُرَّف لكان المضاف إليه معرفة وليس مرادا[٢٠٧].

ومن هنا تعلم أن دراستنا للمضاف إليه (ساحر) مناسب لهذا الفصل، لأنه لن يتم معنى المسند المضاف (كيد) إلا بالمضاف إليه (ساحر)، ودراسته متمم لدراسة المسند، فليس في هذا خروج عن ما وضع له هذا الفصل.

والإمام الرازي- رحمه الله- يرى أن التنكير لإرادة العدد لا الجنس، فكان المعنى: " كأنه قال: هذا الذي أتوا به قسم واحد من أقسام السحر"[٢٠٨]، بينما سلك ابن عاشور مسلكا أخر فقد رأى أن جملة ﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ من تمام الجملة التي قبلها، فهي معطوفة عليها وحال من ضمير [إنما صنعوا][٢٠٩].

ومن المفسرين من ذهب لتلمس أغراض أخرى للتنكير في الآية، فقال الألوسي مبرزا أسرار التنكير في الآية: نَكَّر (ساحر) ليتوسل به إلى تحقير المضاف، وتعقب بأنه بعد تسليم إفادة ذلك تحقير المضاف لا يناسب المقام، ولأنه

---

٢٠٣ ـ انظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، ط٤، دار الرشيد، دمشق ـ مؤسسة الإيمان، بيروت ، (١٦/ ٣٨٩).

٢٠٤ ـ انظر: معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب ـ بيروت، (٣/ ٣٦٧).

٢٠٥ ـ ديوان العجاج برواية الأصمعي، تحقيق: د/ عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس- دمشق، (١/ ٤١٠).

٢٠٦ ـ الكشاف، (٣/ ٧٥).

٢٠٧ ـ انظر: روح المعاني، (٨/ ٥٤٠).

٢٠٨ ـ التفسير الكبير، (٢٢/ ٨٥).

٢٠٩ ـ انظر: التحرير والتنوير، (١٦/ ٢٦١).

يفيد انقسام السحر إلى حقير وعظيم وليس بمقصود، وأيضا ينافي ذلك قوله تعالى في آية أخرى ﴿ وَجاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ) إلا أن يقال عظَّمَه من وجه لا ينافي حقارته في نفسه وهو المراد من تحقيره. وقيل: إنما نكر لئلا يذهب الذهن إلى أن المراد ساحر معروف فتدبر(٢١٠).

والذي أراه أن التنكير هنا جاء للتحقير، فبعد أن توجس موسى عليه السلام في نفسه خيفة، أراد الله طمأنته، فأمره بالإلقاء، وأخبره أن ما صنعوه شيئا حقيرا لكي لا يكون له به أدنى اهتمام.

٢١٠ ـ انظر: روح المعاني، (٨/ ٥٤٠).

الفصل الثالث: أحوال متعلقات الفعل.

وفيـــه:

أولا: التعريف بأحوال متعلقات الفعل.

ثانيا: التوجيه البلاغي لأحوال متعلقات الفعل في السورة بين الشيخين.

أولا: التعريف بمتعلقات الفعل.

أحوال متعلقات الفعل هي أحوال متعلقات المسند إذا كان فعلا، وما فصْلها عن المسند إلا لكثرتها، ولهذا ارتأى البلاغيون فصلها عنه وجعلها في مبحث مستقل(٢١١). ويقصد بمتعلقات الفعل هي كل ما يتصل بالفعل ويتعلق به من فاعل، ومفعول به، ولأجله، ومصدر، وزمان، ومكان، وسبب، وحال، وتمييز، وغيره(٢١٢)، فالفعل يلابس هذه المتعلقات ويتصل بها، فيتحقق بهذا الاتصال أو بتركه، أو تقديمه وتأخيره سواء على معمولها أو فيما بينها كثير من الأغراض البلاغية.

يقول الإمام عبد القاهر: " وهاهنا أصل يجب ضبطه، وهو أن حالَ الفعلِ معَ المفعولِ، الذي يَتعدَّى إليه حاله مع الفاعل، فكما أَنك إذا قلتَ: "ضربَ زيدٌ، فأَسندْتَ الفعلَ إلى الفاعل، كان غرَضُكَ من ذلك أَنْ نثبتَ الضرب فعلًا له، لا أن تفيد وجوب الضرب في نفسه وعلى الإطلاق. كذلك إذا عدَّيْتَ الفعلَ إلى المفعولِ فقلتَ: "ضربَ زيدٌ عَمرا"، كان غرَضُكَ أن تُفيد التباسَ الضربِ الواقعِ مِنَ الأول بالثاني ووقوعَه عليه، فقد اجتمعَ الفاعلُ والمفعولُ في أنَّ عمَلَ الفعلَ فيهما إنَّما كان مِنْ أَجْل أن يُعْلَم التباسُ المعنى الذي اشتُقَّ منه بِهما فعَمِلَ الرفعُ في الفاعل، ليُعلَم التباسُ الضربِ به من جهةِ وقوعِهِ منه والنصْبُ في المفعول، ليُعْلَم التباسُه به من جهة وقوعه عليه، ولم يكن ذلك ليُعلم وقوعُ الضربِ في نفسه، بل إذا أُريد الإخبارُ بوقوعِ الضرْبِ ووجودِه في الجملة من غير أن يُنْسَب إلى فاعلٍ أو مفعولٍ، أو يتعرَّضَ لبيان ذلك، فالعبارةُ فيه أن يقالَ: "كانَ ضربٌ" أو "وَقَع ضربٌ" أو "وُجد ضربٌ" وما شاكلَ ذلك مِنْ ألفاظٍ تفيدُ الوجودَ المجرَّدَ في الشيء"(٢١٣).

---

٢١١ - خصائص التراكيب، ص٣١٨.

٢١٢ - نفسه، ص٣١٨.

٢١٣ - دلائل الإعجاز، ص١٥٤.

ثانيا: التوجيه البلاغي لأحوال متعلقات الفعل في السورة بين الشيخين.

١- حذف المفعول في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦].

يرى الإمام الرازي- رحمه الله- أن حذف المفعول لأسمع وأرى من قبيل إثبات معنى الفعل؛ إذ يراهما توكيدا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا] ونصه في ذلك: "فإن من يكون مع الغير وناصرا له وحافظا يجوز أن لا يعلم كل ما يناله وإنما يحرسه فيما يعلم فبين سبحانه وتعالى أنه معهما بالحفظ والعلم في جميع ما ينالهما وذلك هو النهاية في إزالة الخوف"(٢١٤)، ويدل على ذلك أن السمع والبصر صفتان زائدتان على العلم وإلا للزم التكرار، كما ذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني عبارة عن إثبات المعنى في نفسه للشيء على الإطلاق وعلى الجملة، من غير أن يتعرض لحديث المفعول(٢١٥).

أما ابن عاشور فقد ذهب إلى أن : ﴿ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ حالان من ضمير المتكلم، أي أنا حافظكما من كل ما تخافانه، وأنا أعلم الأقوال والأعمال فلا أدع عملا أو قولا تخافانه. ونزل فعل أسمع وأرى منزلة اللازمين إذ لا غرض لبيان مفعولهما، بل المقصود: أني لا يخفى علي شيء. وفرع عليه إعادة الأمر بالذهاب إلى فرعون(٢١٦)، فيكون الغرض للإيحاء بالقدرة المطلقة على السمع والرؤيا، دون تخصيصها في مكان دون آخر أو لشخص دون غيره.

يقول الزمخشري: " ﴿ مَعَكُما﴾ أي: حافظكما وناصركما ﴿ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل، فأفعل ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما، فجائز أن يقدّر أقوالكم وأفعالكم، وجائز أن لا يقدّر شيء، وكأنه قيل: أنا حافظ لكما وناصر

---

٢١٤ - التفسير الكبير، (٢٢/ ٦١).
٢١٥ - انظر: دلائل الإعجاز، ص١٥٤.
٢١٦ - انظر: التحرير والتنوير، (١٦/ ٢٢٨).

سامع مبصر. وإذا كان الحافظ والناصر كذلك، تمّ الحفظ وصحت النصرة، وذهبت المبالاة بالعدّو"(٢١٧)، وعلى عدم التقدير ذهب العلمان.

وقد خطَّأ الألوسي الطيبي(٢١٨) حين جعل (عدم التقدير) من الخفي الذي تدخله الصنعة لحذف المفعول، وهو حذف مفعول مقصود لدلالة الحال عليه عند الجرجاني(٢١٩)، حيث قال: " قوله: (فجائز أن يُقدر)، الفاء تفصيل لقوله: "ما يجري بينكما وبينه من قول أو فعل"، يعني: يجوز إرادة هذا المعنى من التركيب، إما بالتقدير بحسب القرائن، وإما بغير التقدير على سبيل الكناية، بأن يجعل الفعل المتعدي لازماً ليعم، ثم يكنى به عن فعل خاص كما فعل البحتري في قوله:

شَجْوُ حُسَّادِهِ وغَيْظُ عِدَاهُ أنْ يَرَى مُبْصِرٌ ويَسْمَعَ وَاعِ(٢٢٠)

أي: يكون ذو رؤية وذو سمع، فعبر به عن قوله: أن يرى مبصرٌ آثار محاسن الممدوح، ويسمع واع صيت محامده."(٢٢١)، فتراه مثل بقول البحتري فيما لا يقدر مفعول.

وإنما قول البحتري فيما يقدر له مفعول، قال الأمام عبد القاهر: وقسم ثان: وهو أن يكون له مفعول مقصود قصده معلوم، إلا أنه يحذف من اللفظ لدليل الحال عليه، وينقسم إلى جليّ لا صنعة فيه، وخفيّ تدخله الصنعة. ثم مثل للجليّ بقولهم: «أصغيت إليه»، وهم يريدون «أذني»، و «أغضيت عليه»، والمعنى «جفني»، وقال عن الخفي الذي تدخله الصنعة أنه يتفنن ويتنوع، وأن منه: أن تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول مخصوص قد علم مكانه، إما بجري ذكر، أو دليل حال، إلا أنك تنسيه نفسك وتخفيه، وتوهم أنك لم تذكر ذلك الفعل إلا لأن تثبت نفس معناه، من غير تعدية إلى شيء أو تعرض فيه لمفعول. ومثاله، قول البحتري:

---

٢١٧ ـ الكشاف، (٣/ ٦٦).
٢١٨ ـ انظر: تفسير الألوسي، (٨/ ٥١١).
٢١٩ ـ دلائل الإعجاز ص١٥٥.
٢٢٠ ـ ديوان البحتري، ت: حسن كامل الصيرفي، ط٣، دار المعرفة، القاهرة، ص١٢٤٤.
٢٢١ ـ فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، (١٠/ ١٧٩).

شَجْوُ حُسَّادِهِ وغَيْظُ عِدَاهُ أنْ يَرَى مُبْصِرٌ ويَسْمَعَ وَاعِ

المعني، لا محالة: أن يرى مبصر محاسنه، ويسمع واع أخباره وأوصافه، ولكنّك تعلم على ذلك أنه كأنّه يسرق علم ذلك من نفسه، ويدفع صورته عن وهمه، ليحصل له معنى شريف وغرض خاصّ. وذاك أنه يمدح خليفة، وهو المعتزّ، ويعرّض بخليفة وهو المستعين، فأراد أن يقول: إن محاسن المعتز وفضائله، المحاسن والفضائل يكفي فيها أن يقع عليها بصر ويعيها سمع حتّى يعلم أنه المستحق للخلافة، والفرد الوحيد الذي ليس لأحد أن ينازعه مرتبتها، فأنت ترى حسّاده وليس شيءأشجى لهم وأغيظ، من علمهم بأن هاهنا مبصرا يرى وسامعا يعي، حتى ليتمنّون أن لا يكون في الدنيا من له عين يبصر بها، وأذن يعي معها، كي يخفى مكان استحقاقه لشرف الإمامة، فيجدوا بذلك سبيلا إلى منازعته إيّاها. (٢٢٢)

وقد جوَّزَ الزمخشري أن لا يقدر شيء، وكأنه قيل: أنا حافظ لكما وناصر سامع مبصر وإذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ، وهو يدل على انه لا نظر إلى المفعول وقد نزل الفعل المتعدي منزلة اللازم لأنه أريد تتميم ما يستقل به الحفظ والنصرة وليس من باب قول البحتري على ما زعم الطيبي، واستدل بالآية على أن السمع والبصر صفتان زائدتان على العلم بناء على أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّني مَعَكُما﴾ دال على العلم ولو دل ﴿ أَسْمَعُ وَأَرى﴾ عليه لزم التكرار وهو حلاف الأصل"(٢٢٣).

إذن يجوز أن لا يقدر شيء بأن ينزل منزلة اللازم تتميما لقوله تعالى: ﴿إِنَّني مَعَكُما﴾ لكونهما مما يتم به الحفظ والنصرة، ولا مدخل في ذلك الاعتبار لتعلقهما بالمفعول(٢٢٤).

---

٢٢٢ ـ انظر: دلائل الإعجاز ص١٥٥-١٥٦.

٢٢٣ ـ انظر: تفسير الألوسي، (٨/ ٥١١).

٢٢٤ ـ انظر: حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي لمحمد بن مصلح الدين مصطفى القوجي الحنفي، تحقيق محمد عبد القاهر شاهين، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، (٥/ ٦٢٢).

ومن ثمَّ فإن حذف المفعول هنا أشار إلى معنى التعميم، فإن حذف المفعول في هذا الموضع يفيد معنى التعميم عند أغلب المفسرين وعند الشيخين وكذلك عند البلاغيين حيث يقول السكاكي –رحمه الله- " وأما الحالة المقتضية لترك مفعوله فهو القصد على التعميم والامتناع على أن يقصره السامع على ما يذكر معه دون غيره مع الاختصار، وأنه أحد أنواع سحر الكلام حيث يتوصل بتقليل اللفظ على تكثير المعنى، كقولهم: في باب المبالغة فلان يعطى ويمنع ويصل ويقطع ويبني ويهدم ويغني ويعدم، وقوله عز قائلا: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ (يونس: ٢٥)، أو القصد على نفس الفعل بتنزيل المتعدي منزلة اللازم ذهابا في نحو: فلان يعطي على معنى يفعل الإعطاء"[٢٢٥]

٢- تقييد الفعل بالحرف في قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾ [طه:١٢٠] .

ذهب الإمام الرازي وتابعه ابن عاشور إلى أن تقييد فعل وسوس بـ (إليه) في قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ﴾ لإفادة انتهاء الوسوسة إلى آدم وبلوغها إياه، فقال: " فإن قيل: كيف عدى وسوس تارة باللام في قوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٠] وأخرى بإلى؟ قلنا قوله: فوسوس لهما معناه لأجله وقوله: فوسوس إليه معناه أنهى إليه الوسوسة كقوله حدث له وأسر إليهِ"[٢٢٦] ونص ابن عاشور في ذلك قوله:" وتعدية فعل ﴿ وَسْوَسَ] هُنَا بِحَرْفِ (إِلَى) وباللام في سورة الأعراف ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٠] باعتبار كيفية تعليق المجرور بذلك الفعل في قصد المتكلم، فإنه فعل قاصر لا غنى له عن التعدية بالحرف، فتعديته بحرف

---

[٢٢٥] - مفتاح العلوم، ص٢٢٨.
[٢٢٦] - التفسير الكبير، (٢٢/ ١٢٦).

(إلى) هنا باعتبار انتهاء الوسوسة إلى آدم وبلوغها إياه، وتعديته باللام في الأعراف باعتبار أن الوسوسة كانت لأجلهما."[٢٢٧]

أما عن مناسبة تعدية فعل الوسوسة في سورة الأعراف بـ اللام، وفي سورة طه بـ إلى، ففي سورة الأعراف أن الشيطان فعل الوسوسة لأجلهما ليظهر لَهُما ما غطى عَنْهُما عوراتهما، واللام: للعاقبة، أي: فعل الوسوسة لتكون عاقبتهما كشف عورتهما، وكانا لا يريانها من أنفسهما، ولا أحدهما من الآخر[٢٢٨]، فعبر باللام لأن الكلام في السورة عن الشيطان وفيها تحذير من فعله وحيله فناسب بيان مكايده الإتيان بـ اللام وهي من أول قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١] إلى قوله: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥]، قال البقاعي رحمه الله: "فوسوس أي: ألقى في خفاء وتزيين وتكرير واشتهاء"[٢٢٩]، وهذا مناسب لما في الآيات، وفيه دلالة على أن ما يفعل الشيطان من فعل إلا لأجل الإيقاع ببني آدم؛ ألم يقل قبلها في قول الله تعال: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، وأما سورة طه فالكلام فيها عن أدم وهو من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] فالإتيان بـ إلى أي: َانْهَى إِلَيْهِ الْوَسْوَسَةَ يتناسب مع الآيات الواردة في الإخبار عن آدم عليه السلام.

---

[٢٢٧] - التحرير والتنوير، (١٦/ ٣٢٥).

[٢٢٨] - انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد الأنجري الفاسي الصوفي، ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان،ط، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، (٢/ ٢٠٥).

[٢٢٩] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ط٤، دار الكتب العلمية بيروت، (٥/ ١٦).

٣- تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: ١٣٠]

فـ "من" فِي قَوْلِهِ: ﴿ مِنْ آناءِ اللَّيْلِ﴾ ابتدائية متعلقة بالفعل ﴿سَبِّحْ﴾ (٢٣٠).

وتقديم الجار والمجرور على الفعل هنا للاهتمام، وقد عقد الرازي- رحمه الله- لتقديم الجار والمجرور هنا مسألة فقال: " أفضل الذكر ما كان بالليل لأن الجمعية فيه أكثر. وذلك لسكون الناس وهدوء حركاتهم وتعطيل الحواس عن الحركات وعن الأعمال"(٢٣١).

أما ابن عاشور فتوجيه التقديم عنده للاهتمام بآناء الليل؛ أن الليل وقت تميل فيه النفوس إلى الدعة فيخشى أن تتساهل في أداء الصلاة فيه"(٢٣٢).

ويبين الزمخشري سر اختصاص هذين الوقتين حيث فقال -رحمه الله-: وتعمد آناء الليل وأطراف النهار مختصا لهما بصلاتك، وذلك أن أفضل الذكر ما كان بالليل، لاجتماع القلب وهدوء الرجل والخلو بالرب سبحانه وتعالى(٢٣٣)، وقد فسر الطيبي جملة الزمخشري السابقة بقوله: (مختصاً لهما بصلاتك)، اعتبر في تقديم الظرف الاختصاص، وأريد بالاختصاص: الاهتمام(٢٣٤).

ومسألة تقديم المتعلق على العامل، فإنه غالبا ما يكون للاختصاص(٢٣٥)، وعليه جمهرة أهل البيان، غير أن ابن الأثير ارتأى ذلك، فقال: قال علماء البيان، ومنهم الزمخشري - رحمه الله-: إن تقديم هذه الصورة المذكورة إنما هو للاختصاص، وليس كذلك. والذي عندي فيه أن يستعمل على وجهين: أحدهما: الاختصاص، والآخر: مراعاة نظم الكلام، وذاك أن يكون نظمه لا يحسن إلا

---

٢٣٠ ـ انظر: التحرير والتنوير، (١٦/ ٣٣٨).
٢٣١ ـ التفسير الكبير، (٢٢/ ١٣٤).
٢٣٢ ـ التحرير والتنوير، (١٦/ ٣٣٨).
٢٣٣ ـ انظر: الكشاف، (٣/ ٩٦).
٢٣٤ ـ انظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، (١٠/ ٢٧١).
٢٣٥ ـ انظر: خصائص التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص٣٧٣، والتعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، ط٤، دار عمار، ص٤٩.

بالتقديم، وإذا أخر المقدم ذهب ذلك الحسن، وهذا الوجه أبلغ وأوكد من الاختصاص([٢٣٦])، وتبعه في ذلك العلوي وخاصة في تقديم الظرف فقسم حاله إلى إثبات ونفي فإما في الإثبات فكما تقدم عند ابن الأثير وأما إذا كان واردا في النفي فقد يرد مقدما، وقد يرد مؤخرا، فإذا ورد مؤخرا أفاد النفي مطلقا من غير تفصيل، وهذا كقوله تعالى: ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] فإنه قصد أنه لا يلصق به الريب ولا يخالطه، لأن النفي التصق بالريب نفسه، فلا جرم كان منتفيا من أصله، بخلاف ما لو قدم الظرف فإنه يفيد أنه مخالف لغيره من الكتب فإنه ليس فيه ريب، بل في غيره كما لو قلت: لا عيب في هذا السيف، فإنه نفى العيب عنه على جهة الإطلاق، بخلاف ما لو قلت: هذا السيف لا فيه عيب، ولهذا أخره هنا وقدمه في قوله تعالى: ﴿ لا فِيها غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٧]؛ لأن القصد هنا تفضيلها على غيرها من خمور الدنيا والمعنى أنه ليس فيها ما في غيرها من الغول، وهو الخمار الذي يصدع الرؤوس، أو يريد أنها لا تغتالهم بإذهاب عقولهم كما في خمور الدنيا ﴿وَلا يُنْزِفُونَ ﴾ [الواقعة: ١٩] أي: لا يسكرون، من الإنزاف وهو السكر([٢٣٧]).

وأما لماذا يدل تقديم الظرف على عامله؛ لأنه يحتمل إيقاع الكلام بعد الظرف إلا غيرك، قال ابن الأثير: " وهكذا يجري الحكم في تقديم الظرف، كقولك: إن إلي مصير هذا الأمر، وقولك: إن مصير هذا الأمر إلي، فإن تقديم الظرف دل على أن مصير الأمر ليس إلا إليك بخلاف قولك: إن مصير هذا الأمر إلي، إذ يحتمل إيقاع الكلام بعد الظرف على غيرك، فيقال: إلى زيد، أو عمرو، أو غيرهما"([٢٣٨]).

ثم أمره بالتسبيح عقيب أمره بالصبر لأن التسبيح سواء كان بمعنى التنزيه والإجلال أو بمعنى الصلاة بطريق إطلاق الجزء على الكل فهو من قبيل

---

[٢٣٦] - انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،(٢/ ١٧٣).
[٢٣٧] - انظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (٢/ ٤٠).
[٢٣٨] - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (٢/ ١٧٣).

ذكر الله تعالى، وذكره يفيد السلو والراحة وينسي جميع ما أصاب من الغموم والأحزان(٢٣٩)؛ ولأن الليل جامع لذلك لاختصاصه بالسكون والعودة للنفس بعد الكد في النهار، فقد اهتم بهذا الوقت عن غيره من الأوقات فأطراف النهار مدعاة لتشتت النفس والفكر في طلب العيش.

٤- توجيه حذف المتعلق في قوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ [طه: ٤٥]

اختلف العلماء في تقدير متعلق الفعل (طغى) فذهب الزمخشري إلى أن تقدير المحذوف " أوْ أَنْ يَطْغى بالتخطي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي، لجرأته عليك وقسوة قلبه، أوفي المجيء به هكذا على الإطلاق وعلى سبيل الرمز: باب من حسن الأدب وتحاش عن التفوّه بالعظيمة"(٢٤٠)، وقدر ابن عاشور أن يطغى علينا، وذكر احتمالا أخر وافق فيه الزمخشري والرازي، وهو: أن يطغى عليك، ولم يذكر الرازي فائدة حذف المتعلق غير أنه ذكر أن ختم موسى في اعتذاره لربه (أو أن يطغى عليك) جريا على ما اعتادته العرب بجعل الخاتمة أقوى، قال: " واعلم أن من أمر بشيء فحاول دفعه بأعذار يذكرها فلا بد وأن يختم كلامه بما هو الأقوى وهذا كما أن الهدهد ختم عذره بقوله: ﴿ وَجَدْتُها وَقَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [النمل: ٢٤] وههنا بدأ موسى بقوله: ﴿ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ وختم بقوله: ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ لما أن طغيانه في حق الله تعالى أعظم من إفراطه في حق موسى وهارون عليهما السلام"(٢٤١).

أما ابن عاشور فقد تابع الزمخشري فيما ذهب إليه من أن الحذف جاء للتنزيه عن التصريح بذكر ما احتمله موسى عليه السلام من ردة فعل فرعون، وفي

---

٢٣٩ - انظر: حاشية محيي الدين شيخ زادة، (٥/ ٦٧١).
٢٤٠ - الكشاف، (٣/ ٦٦).
٢٤١ - التفسير الكبير، (٢٢/ ٦٠).

هذا غيرة من موسى على جانب الله تعالى، مما يدل على أدب جم تحلى به موسى عليه السلام، وقد زاد على هذا فائدة أخرى وهي: رعاية الفاصلة(٢٤٢).

تتعدد أغراض حذف المفعول به من ناحية بيانية بحسب غرض المتكلم وما يقصد إليه من معنى، ويظهر جمال البلاغة وحسنها في مراعاة هذا الأسلوب، قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني –رحمه الله -: " فإنَّ الحاجَةَ إليه أمسُّ، وهو بما نحنُ بصدده أَخصُّ، واللطائفُ كأنها فيه أَكثرُ، ومما يَظْهر بسببهِ مِنَ الحُسْن والرَّوْنَقِ أَعجبُ وأَظْهَرُ "(٢٤٣).

والغرض البياني من الحذف هو تنزيه الله تعالى، والتحاشي عن ذكر العظيمة في حقه سبحانه؛ لأن معرته عائدة إليهما إجلالاً لله تعالى وتهيباً من عزته واستزادة لرأفته واستنزالاً لرحمته، وذلك أن الجاهل بالله وبرسوله يخاف منه على الرسول بالإفراط في التكذيب أو في العقوبة، وعلى الله سبحانه وتعالى بما لا ينبغي من القول فيه ﴿ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨](٢٤٤).

٥- توجيه الالتفات في قوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ [طه: ٥٣]

الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها(٢٤٥)، وفي الآية التفات من ضمير الغيبة في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ ﴾ إلى ضمير المتكلم في قوله: ﴿ فَأَخْرَجْنَا﴾، ولذلك دواعيه البلاغية.

---

٢٤٢ - انظر: التحرير والتنوير، (١٦/ ٢٢٨).

٢٤٣ - دلائل الإعجاز، ص١٣٥.

٢٤٤ - انظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، (١٠ / ١٧٨).

٢٤٥ - الإيضاح في علوم البلاغة،(٢/ ٨٦).

نقل الرازي توجيهات المفسرين في قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا﴾ ومنها توجيه الزمخشري، فقال: " قال صاحب «الكشاف» انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع للإيذان بأنه سبحانه وتعالى مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره"(٢٤٦)، ونحا نحوه ابن عاشور إذ رأى أن سِرَّ الالتفات هنا " أنه بعد أن حاج المشركين بحجة انفراده بخلق الأرض وتسخير السماء مما لا سبيل بهم إلى نكرانه ارتقى إلى صيغة المتكلم المطاع فإن الذي خلق الأرض وسخر السماء حقيق بأن تطيعه القوى والعناصر، فهو يخرج النبات من الأرض بسبب ماء السماء، فكان تسخير النبات أثرا لتسخير أصل تكوينه من ماء السماء وتراب الأرض"(٢٤٧).

ويرى الزمخشري أن الالتفات للتخصيص أيضا، فقال: " وفيه تخصيص أيضا أي: بأنا نحن نقدر على مثل هذا"(٢٤٨)، وعلق الطيبي على الزمخشري بقوله: وقد أدمج في الكلام معنى الاختصاص رداً لزعم الطبيعيين على منوال: إنا نفعلُ كذا أيتها العصابة، كما قال: بأنا نحن نقدرُ على مثل هذا، ولا يدخل تحت قدرة أحد، أي: الماء واحدٌ والأرض واحدةُ والمخرج مختلفٌ ألوانه، فلا يكون ذلك إلا بإيجاد قادرٍ مختارٍ لا يمتنع شيءٌ من إرادته ومشيئته(٢٤٩)، وفي هذا عظة ونصيحة أراد الله بها أن تقر في قلوب القوم، وهو مصداق لقوله: ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾.

ويزيد ذلك وضوحا، مناسبة الالتفات في القصة القرآنية هنا، فهي مسوقة لغرض ديني مهما تنوعت أقسامه وتفرعت أشكاله، وأن القرآن يتخذ من الجمال الفني أداة لتحقيق هذا الغرض، وما الإعجاز في مجموع مظاهره وأنواعه إلا أداة أيضا لتحقيق المقصد الديني(٢٥٠).

---

٢٤٦ ـ التفسير الكبير، (٢٢/ ٦٨).
٢٤٧ ـ التحرير والتنوير،(١٦/ ٢٣٨).
٢٤٨ ـ الكشاف، (٣/ ٦٨).
٢٤٩ ـ فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، (١٠/ ١٨٥).
٢٥٠ ـ انظر: من روائع القرآن ـ تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، موسسة الرسالة ـ بيروت، ص١٩٥.

فقد تحولت الآيات هنا عن القصة وسردها إلى التذكير بعظمة الله ومظاهر إلوهيته ودلائل وجوده؛ حتى إن ضمير الخطاب فيها تحول عن خطاب موسى لفرعون إلى خطاب الله للناس كلهم كما تجد في سرد الآيات(٢٥١)، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (٥٤) ﴾ [طه: ٤٩ – ٥٤].

٦- توجيه الالتفات في قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: ١١٧]

في الآية الكريمة التفات من الغيبة إلى الخطاب، فقوله: ﴿ فَتَشْقَى﴾ أسند فعل الشقاء إلى الضمير المفرد العائد على آدم عليه السلام، وظاهر السياق يقتضي إسناده إلى ضمير التثنية ﴿ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾، وقد ذكر المفسران دلالة هذا الالتفات فقال الرازي، فيه رأيان:

أولهما: إن في ضمن شقاء الرجل وهو قيم أهله وأميرهم شقاءهم، كما أن في ضمن سعادته سعادتهم، فاختص الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على رعاية الفاصلة.

الثاني: أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة(٢٥٢).

ونحا نحوه ابن عاشور، وقد رأى أن دلالة هذا فائدة الالتفات هنا للإيجاز قال: وأسند ترتب الشقاء إلى آدم خاصة دون زوجه إيجازا(٢٥٣).

---

٢٥١ - انظر: من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، ص١٩٩.
٢٥٢ - انظر: التفسير الكبير، (٢٢/ ١٢٥).

وقد رجح حسن طبل الرأي الثاني؛ ذلك لأن الأكل والقوت كان بمثابة المحور الأساسي في قصة آدم عليه السلام؛ فهو- من جهة- إحدى النعم التي امتن الله بها على أدم في الجنة، ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى، وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ [طه: ١١٨- ١١٩]، وهو- من جهة أخرى- مدار الأمر والنهي في تلك القصة ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وهو- من جهة ثالثة- سبب حرمان أدم وزوجه من الجنة ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١](٢٥٤).

٧- توجيه وضع المظهر في موضع المضمر في قوله تعالى: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣]

خرج الكلام في قوله تعالى: ﴿هُدَايَ﴾ على خلاف مقتضى الظاهر، لأنه قد سبق ذكره في الكلام وكان مقتضى الظاهر أن يؤتى بالمضمر، لكن عدل المولى عز وجل عن هذا الأسلوب، وجاء بالظاهر مضافا له سبحانه، لتشريفه والمبالغة في إيجاب إتباعه(٢٥٥).

ومن خلال تتبع ما قاله الإمام الرازي في الآية، نجد أن العدول عن المضمر للمظهر لترسيخ الأمر في ذهن السامع، فقال: " ولما وعد الله تعالى من يتبع الهدى أتبعه بالوعيد فيمن أعرض، قال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾"(٢٥٦)،

---

٢٥٣ ـ انظر: التحرير والتنوير، (١٦/ ٣٢١).
٢٥٤ ـ انظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د/ حسن طبل، ط١، دار الفكر العربي- القاهرة، ص٩٨.
٢٥٥ ـ انظر:الألوسي، (٨/ ٥٨٤).
٢٥٦ ـ التفسير الكبير، (٢٢/ ١٣٠).

فالإظهار والإضافة في قوله: ﴿هُدَايَ﴾ للمبالغة في إيجاب إتباعه، أما ابن عاشور- رحمه الله- فقال: " قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾؛ لأنه إذا اتبع الهدى الوارد من الله على لسان رسله سلم من أن يعتريه شيء من ضلال، أي فلا يعتريه ضلال في الدنيا، بخلاف من اتبع ما فيه هدى وارد من غير الله، فإنه وإن استفاد هدى في بعض الأحوال لا يسلم من الوقوع في الضلال في أحوال أخرى"(٢٥٧).

فالإضافة مع وضع المظهر مكان المضمر هنا لإفادة تقريره وعدم لبسه، ولهذا وجدناه يقول في تفسير أية البقرة: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] " أظهر اهتماما بالهدى ليزيد رسوخا في أذهان المخاطبين"(٢٥٨).

والذي يظهر لي أن مناسبة الإظهار هنا لأنهم زعموا أن محمدا - صلى الله عليه وسلم- سيشقى بالقرآن، ولأن الله قد بين في أول السورة، أن إنزال القرآن ليس لشقائه كما يزعمون، وإنما تذكرة لمن يخشى، أظهر المضمر إمعانا منه في دحض قولهم وتعريضا بهم، ولهذا جاء بنفي الشقاء عن متبعه، والله أعلم بمراده.

---

٢٥٧ - التحرير والتنوير، (١٦/ ٣٣٠).
٢٥٨ - نفسه، (١/ ٤٤٢).

الفصل الرابع: القصر.

وفيـــه:

أولا: التعريف بالقصر

ثانيا: التوجيه البلاغي للقصر في السورة بين الشيخين

أولا: تعريف القصر.

القصر صورة من صور التأكيد، وهو توكيد وإيجاب أبدا[٢٥٩]، وإذا رتبنا أساليب التوكيد وأدواته العديدة ترتيبا تصاعديا حسب قوة التأكيد، لكان القصر قمته وغايته؛ ذلك أنه توكيد فوق توكيد؛ حيث إن كل قصر في أصله يتكون من جملتين في جملة، فهو تركيز شديد في الأسلوب[٢٦٠].

والقصر هو: الحبس والإلزام، تقول: قصرت نفسي على الشيء إذا حبستها وألزمتها إياه، كما تقول: قصرت الشيء على كذا إذا لم تجاوز به غيره، ومن القصر بمعنى الحبس قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]، أي: قصرن وحبسن على أزواجهن فلا يطمحن لغيرهم[٢٦١].

وفي الاصطلاح: تخصيص شيء بشيء، أو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوصة، ومعنى تخصيص شيء بشيء، أي: حبس شيء في آخر، بحيث لا يتعداه إلى ما سواه[٢٦٢]. وجملة القصر تتضمن إثباتا ونفيا، يقول محمد أبو موسى في شرحه على التعريف: " وتخصيص الشيء بالشيء يعني أن تجعله له وألا تجعله لغيره وكأنك قلت هو له وليس لغيره، ففيها إثبات ونفي، إثبات منصوص عليه، ونفي متضمن في هذا الإثبات"[٢٦٣]، فالقصر ينتظم حكمين في وقت واحد؛ إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عن غيره[٢٦٤].

---

[٢٥٩]- انظر: أسلوب التوكيد في القرآن، محمد حسين أبو الفتوح، ط١، مكتبة لبنان، ص ١٧٧.

[٢٦٠]- انظر: مفتاح العلوم، ص٢٩١، وانظر: أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، د. صباح عبيد دراز، ط١، مطبعة الأمانة ، ص٩.

[٢٦١]- انظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،(٥/ ٩٧).

[٢٦٢]- انظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، (١/ ٣٩٣).

[٢٦٣] - دلالات التراكيب دراسة بلاغية، د/ محمد محمد أبو موسى، ص٣٧.

[٢٦٤]- انظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، (١/ ٣٩٣).

وتداخل النفي والإثبات في القصر يجعله مركزا، ذا إشعاع وظلال، وقوة حسم؛ لأنه توكيد فوق توكيد، وبخاصة إذا داخله لون بياني بالمعنى العام، وهذا ما يغلب على الأسلوب القرآني(٢٦٥).

طرق القصر:

ذكر البلاغيون أن للقصر طرقا عديدة غير أنهم اهتموا بأربعة منها وهي:

١- طريق النفي والاستثناء، وفي هذه الحالة يكون المقصور عليه ما بعد أداة الاستثناء(٢٦٦). والقصر بهذه الطريق الأصل في استعمالها لما يجهله المخاطب وينكره، وقد ينزّل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب(٢٦٧).

٢- طريق إنما: ويكون المقصور عليه معها مؤخرا(٢٦٨).

والأصل في "إنما" أن تستعمل في أمر من شأنه ألا يجهله المخاطب، ولا ينكره، أو فيما نزل هذه المنزلة(٢٦٩).

٣- طريق العطف، ويكون (بلا، أو لكن، أو بل) فإن كان العطف ب «لا» كان المقصور عليه مقابلا لما بعدها، وإن كان العطف ب «لكن» و «بل» كان المقصور عليه ما بعدهما(٢٧٠).

٤-طريق تقديم ما حقه التأخير، وهنا يكون المقصور عليه هو المقدم(٢٧١). والفرق بينها وبين الطرق الثلاثة المتقدمة، أن دلالتها على التخيصص بوساطة الوضع وجزم العقل، ودلالة التقديم عليه بوساطة الفحوى وحكم الذوق(٢٧٢).

٢٦٥- انظر: أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، د/ صباح عبيد دراز، ص٢٣.
٢٦٦- انظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، (١/ ٤١٧).
٢٦٧- انظر: دلائل الإعجاز، ص٣٣٢، وانظر: الإيضاح، للقزويني، صيدا- بيروت، ص١٢٨.
٢٦٨- انظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، (١/ ٤١٧).
٢٦٩- انظر: دلائل الإعجاز، ص٣٣٠، وانظر: الإيضاح، ص١٢٩.
٢٧٠- الإيضاح، ص١٢٥.
٢٧١- الإيضاح، ص١٢٧.
٢٧٢- مفتاح العلوم، ص٢٩٢.

ثانيا: توجيه القصر بين الشيخين في السورة الكريمة.

١- من طريق التقديم في سورة طه قول الله تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦]

القصر في الآية الكريمة قصر صفة على موصوف، إذ المقدم هنا الضمير العائد على الله، والصفة هي القدرة المطلقة، والرازي- رحمه الله- لم يشر إلى أسلوب القصر في الآية، وإنما تناولها بلاغيا من باب التفصيل بعد الإجمال لأنه سبحانه لما شَرَحَ مُلْكَهُ بِقَوْلِهِ: " ﴿الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى﴾ والملك لا ينتظم إلا بالقدرة والعلم، لا جرم عقبه بالقدرة ثم بالعلم"(٢٧٣) ثم فصل فجعل القدرة في هذه الآية في صنوفها الأربعة ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وجعل العلم في الآية التي بعدها(٢٧٤).

وإذا كان الإمام الرازي لم يشر إلى أسلوب القصر في الآية الكريمة واكتفى بسرد المعنى الكلي الذي تضمن تفصيل القدرة الإلهية وصنوفها الأربعة، فإن العلامة ابن عاشور كان أكثر دقة حيث تناول أسلوب القصر في الآية وأنه جاء " ردا على زعم المشركين أن لآلهتهم تصرفات في الأرض، وأن للجن اطلاعا على الغيب، ولتقرير الرد ذكرت أنحاء الكائنات، وهي السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى"(٢٧٥)، وابن عاشور في عبارته الأخيرة يلتقي مع ما ذكره الرازي من التفصيل في دلائل القدرة الإلهية المتمثلة في صنوفها الأربعة.

وفي سبب نزول الآية ذكر الرازي وجوها: أحدها: قال مقاتل إن أبا جهل والوليد بن المغيرة ومطعم بن عدي والنضر بن الحارث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنك لتشقى، حيث تركت دين آبائك فقال عليه السلام: «بل بعثت رحمة للعالمين» قالوا: بل أنت تشقى فأنزل الله تعالى هذه الآية رد عليهم وتعريفا لمحمد

---

٢٧٣ - التفسير الكبير، للرازي، (٨/٢٢).
٢٧٤ - التفسير الكبير، (٨/٢٢).
٢٧٥ - التحرير والتنوير، (١٦/ ١٨٨).

صلى الله عليه وسلم بأن دين الإسلام هو السلام وهذا القرآن هو السلام إلى نيل كل فوز والسبب في إدراك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها "[٢٧٦].

وذكر وجوها أخرى في مجملها أن الخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم من أول السورة ثم ذكر قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ [طه: ٤] فقال:" أنه تعالى عظم حال القرآن بأن نسبه إلى أنه تنزيل ممن خلق الأرض وخلق السموات على علوها وإنما قال ذلك لأن تعظيم الله تعالى يظهر بتعظيم خلقه ونعمه"[٢٧٧].

من هنا فالمقام مقام رد على المشركين الذين زعموا أن لألهتهم تصرف في الكون، فجاء بهذا الأسلوب لبيان القدرة المطلقة لله تعالى، وتسفيه ما سواه من مخلوقات، وذلك بعدم عد فعلهم وتجاهل يدهم في تصريف معاشهم وغيره من أمور الحياة، ونحن نرجح قول ابن عاشور هنا، لما تفتق عنه هذا الرأي من نكتة بلاغية بينت شكلا من أشكال الإعجاز البياني.

٢- وما جاء على طريق التقديم قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه: ٨]

جاء القصر في الآية من طريقين، أولها: النفي والاستثناء في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ ﴾ حيث قصر صفة الألوهية عليه سبحانه، ونفاها عن كل ما عداه قصرا حقيقيا تحقيقيا. وثانيها: التقديم في قوله: ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ حيث قصر الأسماء الحسنى على كونها له لا لغيره. وقد استلهم الإمام الرازي أسرارا عجيبة منها التعبير بجملة القصر في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ ﴾ فقال: "

[٢٧٦] - التفسير الكبير، (٢٢/ ٤).
[٢٧٧] - التفسير الكبير، (٢٢/ ٥).

وإنما ذكره هاهنا ليبين أن الموصوف بالقدرة وبالعلم على الوجه الذي تقدم واحد لا شريك له، وهو الذي يستحق العبادة دون غيره"(٢٧٨).

في حين ذهب ابن عاشور إلى أن : " تقديم المجرور في قوله: ﴿ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ للاختصاص، أي لا لغيره؛ لأن غيره إما أن يكون اسمه مجردا من المعاني المدلولة للأسماء مثل الأصنام، وإما أن تكون حقائقها فيه غير بالغة منتهى كمال حقيقتها كاتصاف البشر بالرحمة والملك، وإما أن يكون الاتصاف بها كذبا لا حقيقة، كاتصاف البشر بالكبر، إذ ليس أهلا للكبر والجبروت والعزة."(٢٧٩)

وهذا مطابق لتعليل الرازي فيما اعتبرناه حقيقي تحقيقي إذ المنفي عنه هو (كل ما سواه، أو غير الله) عاما وليس لهم أن تكون مسمياتهم حسنى للاعتبار السابق، لكن هل هذه الصفة الوحيدة لله؟ باعتبار أن القصر هنا قصر موصوف على صفه٠ حاشا الله ذلك- إذ أننا لا نعتبر في هذا العقل المحض الخالي من دلالات العبارة والسياق والمقام، فقد ذكر البلاغيون أن قصر الموصوف على الصفة لا يكون حقيقيا تحقيقيا(٢٨٠)، وعلل القزويني هذا بقوله: " لأنه ما من متصور إلا وتكون له صفات تتعذر الإحاطة بها وتتعسر"(٢٨١) ، وما قولهم ذلك إلا لأن ذلك يعني أن يكون للموصوف صفة واحدة لا يتجاوزها إلى غيرها على وجه الحقيقة وهذا محال، فلماذا قلنا بأن القصر في الآية عند العلمين قصر حقيقي تحقيقي علما أننا قد قررنا أن القصر في الآية هو قصر موصوف على صفة؟

وقد ناقش محمد أبو موسى هذه القاعدة، فساق رأي القزويني السابق، ثم ذكر تعليقات المغربي وسعد الدين والدسوقي وما آل إليه بحثهم في هذه المسألة من استحالة عدم اتصاف الموصوف بأكثر من صفة؛ مما يجعل الأمر عسيرا كما قال

---

٢٧٨ - التفسير الكبير، (٢٢/ ٩).
٢٧٩- التحرير والتنوير، (١٦/ ١٩٢).

٢٨٠- دلالات التراكيب، ص٥١.
٢٨١- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: محمد خفاجي، (٣/ ١١).

القزويني، ثم قال وهكذا سلك البحث في هذه القضية سبيله إلى دروب بعيدة عن الدلالة اللغوية وأوغل في المقتضيات الذهنية الذي يقتضيها العقل، وقال وهذا الجنوح في بحث دلالة العبارة يشبه ما تذكره طائفة من اللغويين الذين ينزعون في بحث اللغة منزعا عقليا صرفا غير ناظرين إلى عرف الاستعمال. وكان رأيه في ترجيح إمكانية أن يكون قصر الموصوف على الصفة حقيقيا تحقيقيا حيث قال: " القصر الحقيقي يكون النفي فيه متوجها إلى كل ما عدا المذكور، وهذه الكلية تكون في حدود الدلالة اللغوية أعني ما يتبادر منها. فإذا قلت ما شاعر إلا زيد فإنك لا تعني نفي الشاعرية عن كل من ولدته حواء في كل العصور وكل الأمم. وإنما تعني نفي الشاعرية في حدود ما يشير السياق والقرائن"(٢٨٢)، واستند في رأيه هذا على أن التبادر من أهم أمارات الحقيقة، وأن الدلالة اللغوية يحكمها عرف بياني وضوابط تحدد الدلالة.

وقصر الموصوف على الصفة قصرًا حقيقيًّا ادعائيًّا يمكن اعتباره هنا بناء على عدم الاعتداد بباقي الصفات، والأصح كما سبق أن القصر الادعائي كما يكون في الحقيقي يكون في الإضافي وكما يكون في قصر الموصوف على الصفة يكون في قصر الصفة على الموصوف. فتخصيص بعض العلماء له بقصر الصفة على الموصوف قصرًا حقيقيًّا لا مرجح له."(٢٨٣)

إذن "لا ضير أن نقول إن القصر الحقيقي التحقيقي يرد في قصر الموصوف على الصفة من غير أن ترد هذه الاعتراضات لأننا نريد قصره على الصفة المذكورة دون كل ما عداها مما هو منها بسبيل"(٢٨٤)

وأنت إذا علمت أن السورة من أوائل السور التي نزلت وهذا يقتضي الرد على المدعين مشاركة أصنامهم الله التصرف في الكون، ويجلي هذه الأغراض التي اشتملت عليها السورة، وكذلك قول الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ

٢٨٢- دلالات التراكيب، محمد أبو موسى، ص٥٤.
٢٨٣- الإيضاح في علوم البلاغة، (٣/ ١١).
٢٨٤- دلالات التراكيب، أبو موسى ص٥٥.

بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] فهنا ما يدل على الرد على من يميلون في أسمائه، وقوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] قال ابن عاشور في سبب اختيار اسم الرحمن هنا " واختير وصف الرحمن لتعليم الناس به لأن المشركين أنكروا تسميته تعالى الرحمن: ﴿ وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ قالُوا وَمَا الرَّحْمنُ﴾ [الْفرْقَان: ٦٠]"(٢٨٥)

وحكاية اسم الرحمن في سورة الإسراء ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى... الآية﴾ [الإسراء: ١١٠] وذكره هنا في سورة طه ما يدل على مناسبته للرد على ما يدعونه من مشاركه لأصنامهم في تصريف شؤونهم، فإذا جعلت تقديم لفظ الجلالة (الله) لقوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ ﴾ وفيه قصر الإلهية عليه في ذهنك مع ما تقدم، علمت أن القصر هنا؛ جاء للرد على المشركين الذين ينكرون اسم الرحمن خاصة، وأسمائه عامة، لأنها دالة على محاسن المعاني(٢٨٦)، وفيه بيان لعظمة الله إذ كثر الأسماء تدل على مكانة المسمى، وما القصر في قوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ ﴾ إلا بيان وتعريف به وتقديم اسم الجلالة الله هنا للتنبيه على عظمته وجلاله قال البيضاوي والانتقال من التكلم إلى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين إسناد إنزاله إلى ضمير الواحد العظيم الشأن، ونسبته إلى المختص بصفات الجلال والإكرام والتنبيه على أنه واجب الإيمان به والانقياد له من حيث أنه كلام من هذا شأنه(٢٨٧)، ولهذا ختم بـ ﴿ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾.

٢٨٥- التحرير والتنوير، (١٦/ ١٨٦).
٢٨٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، (٢/ ٢٠٣).
٢٨٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، (٤/ ٢٣).

وقد جمع الرازي بعض الآيات التي تتشابه مع هذه الآية، مثل قوله تعالى: في سورة الأعراف " ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وفي قَوْلُه: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ يفيد الحصر، ومعناه أن الأسماء الحسنى ليست إلا لله تعالى، والبرهان العقلي قد يدل على صحة هذا المعنى."(٢٨٨) والتقديم هنا أفاد الحصر بناءً على ما ذكره الرازي، وآية الأعراف مثل آية طه ويدل على ذلك ما قاله ابن عاشور في تفسيره على آية الأعراف: " وقد التزم مثل هذا التقديم في جميع الآيات التي في هذا الغرض مثل قوله في سورة الإسراء ﴿ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء- ١١٠]، وَسُورَةِ طه ﴿ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾] [طه- ٨] وَفِي سُورَةِ الْحَشْرِ ﴿ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر- ٢٤]، ويخلص الإمام الرازي إلى أن كل ذلك تأكيد للرد على المشركين، وأن يكون بعض الأسماء الواردة في القرآن أو كلام النبي- صلى الله عليه وسلم- أسماء لله تعالى بتخييلهم أن تعدد الاسم تعدد للمسمى تمويها على الدهماء"(٢٨٩).

٣- ومما جاء على طريق "إنما" ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾ [طه: ٧٢]

في الآية الكريمة قصر قضاء فرعون على هذه الحياة الدنيا وهو قصر صفة على موصوف، فقضاء فرعون صفة فيه لا يتجاوز الحياة الدنيا وهو إقرار من السحرة بقوة فرعون في هذه الحياة الدنيا وبهذا الاعتبار يكون القصر إضافي،

---

٢٨٨ - التفسير الكبير، (١٥/ ٧٢).

٢٨٩ - التحرير والتنوير، (٩/ ١٨٦)، وانظر: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الدمشقي النعماني، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، (٩/ ٤٠٠).

فقد قال على الآية في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ قال: " والمعنى أن قضاءك وحكمك إنما يكون في هذه الحياة الدنيا وهي كيف كانت فانية وإنما مطلبنا سعادة الآخرة وهي باقية."(٢٩٠)

أما ابن عاشور فذهب إلى أن القصر هنا قصر موصوف على صفة، قصرا حقيقيا، وفي هذا يقول: " والقصر المستفاد من (إِنَّمَا) قصر موصوف على صفة، أي إنك مقصور على القضاء في هذه الحياة الدنيا لا يتجاوزه إلى القضاء في الآخرة، فهو قصر حقيقي."(٢٩١) ولا أدري لما قال هذا والمنفي متعين وليس عاما.

ومن خلال ما تقدم نقول إن فرعون الموصوف بالقضاء في الحياة الدنيا يجوز أن يتصف بغير هذه الصفة، لكنا لا نجد في السياق ما يعتبر ذلك، إذ المقصود ما من قضائه وقدرته على التعذيب في الحياة الدنيا بسبيل، ونحن نجد أن السحرة قد أثبتوا لفرعون القضاء في الحياة الدنيا ونفوا عنه القضاء في الآخرة، والمنفي هنا معين، إذن فالقصر على هذا الاعتبار قصر إضافي.

والخطاب في الآية موجه إلى فرعون، وقد أخبرتنا الآيات بادعائه الربوبية، ومثله يرى في وعيده ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة طه: ١٢٤] أنه قادر على ذلك، حيث إنَّ فرعون كان شديد القوة، عظيم الغلبة، كثير العسكر، وقد خيل له جبروته ذلك، والسحرة المؤمنون يعلمون ذلك أيضا، غير أنهم أرادوا في خطابهم ذلك أن يقللوا من شأنه بمشاركة صفات إنسانية فيه للقضاء من شأنها أن تقلل من قدرته في الدنيا، إذ أن إثبات القضاء لفرعون في الحياة الدنيا ليس مطلقا بل هو تحت مشيئة الرحمن، وهذا بعد أن تبين لهم صدق نبوة موسى عليه السلام، ويدل على ذلك قولهم ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنا لِيَغْفِرَ لَنا خَطايانا وَما أَكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾، قال الرازي: ولما كان أقرب خطاياهم عهدا

٢٩٠- التفسير الكبير، (٢٢/ ٨٩).
٢٩١- التحرير والتنوير، (١٦/ ٢٦٧).

ما أظهروه من السحر، قالوا: وما أكرهتنا عليه من السحر([٢٩٢])، ثم إذا أضفت إلى ذلك ما ورد في المسألة السابقة من معرفة فرعون بالله ﴿ وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ [سورة النمل: ١٤]، وحالة الشك التي قد تنتابه في مثل هذا المقام من غلبة موسى عليه السلام على السحرة، ومعرفة السحرة بذلك، وإنما كان وعيده للسحرة من باب مسك زمام الأمر حتى لا ينقلب الناس عليه، إذ كان المشهد على الملأ.

والحكم على أقسام القصر يعتمد على فهم حالة المخاطب الخارجية والنفسية، ومن خلال ما تقدم نستطيع أن نصف حالة فرعون النفسية، التي أصبح الشك فيه غالبا على حالة الاعتقاد السابق له، وكيف لا يشك فرعون وقد عاين ما عاين إنما هو الكبر الذي غلبه، وإنما جاء القصر هنا لما بدر من قوله؛ إذ أن قوله يقتضي اليقين فجاء القصر بالقلب، ولهذا جاء خطاب السحرة له في ردهم بطرق إنما دون غيرها من طرق القصر، لأنها تأتي للشيء الذي لا ينكره المخاطب ولا يجهله، وفرعون لا يجهل ذلك ولا ينكره، وهي مع إفادتها القصر تفيد التعريض([٢٩٣])

فقولهم ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه: ٧٢] ليس المقصود منها ظاهر اللفظ فحسب، بل التعريض بفرعون بقصوره وضعفه؛ إذ ليس له شأن إلا في الحياة الدنيا ومجيء اسم الإشارة (هذه) فيه تحقير للحياة الدنيا، وبهذا فمناسبة الإتيان بها هنا واضح.

٤- مما جاء القصر فيه على طريق إنما قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]

فالقصر هنا طريقه (إنما) وما يليه دائما هو المقصور، والمقصور عليه هو المؤخر، فالمراد قصر الإلوهية على الله، وهو قصر صفة على موصوف، وقد جاء في معرض الوعظ كما هو عند العلمين، والقصر هنا قصر حقيقي، قال الإمام

---

[٢٩٢]- انظر التفسير الكبير، (٢٢/ ٨٩).
[٢٩٣]- البلاغة فنونها وأفنانها ص٣٩١.

الرازي: " واعلم أن موسى عليه السلام لما فرغ من إبطال ما ذهب إليه السامري عاد إلى بيان الدين الحق فقال: ﴿ إِنَّما إِلهُكُمُ﴾ أي: المستحق للعبادة والتعظيم، ﴿ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً]، قال مقاتل: يعلم من يعبده ومن لا يعبده"(٢٩٤)، ففي الكلام دلالة ضمنية على أن (إنما) دلت على القصر لتضمنها معنى (ما) و(إلا)، وهذا وجه دلالتها على القصر كما ذكر البلاغيون.

وأما ابن عاشور فقد ارتأى أن: " هذه الجملة من حكاية كلام موسى- عليه السلام- فموقعها موقع التذييل لوعظه، وقد التفت من خطاب السامري إلى خطاب الأمة إعراضا عن خطابه تحقيرا له، وقصدا لتنبيههم على خطئهم، وتعليمهم صفات الإله الحق، واقتصر منها على الوحدانية وعموم العلم لأن الوحدانية تجمع جميع الصفات، كما قرر في دلالة كلمة التوحيد عليها في كتب علم الكلام"(٢٩٥)

وإذا تأملنا السياق وجدنا أن الآية جاءت ردا على فعل عبادتهم العجل، كما ذكر ابن عاشور أن موقعها موقع التذييل لوعظه، وإن (إنما) تستعمل للشيء الذي لا ينكره المخاطب ولا يجهله، فجاء هذا الطريق مناسبا للمقام؛ إذ أن ظاهر فعل القوم الذين اتبعوا السامري في عبادة العجل يقتضي الإنكار والجحود، وإنما خاطبهم موسى عليه السلام بهذه الطريق تنزيلا منه لهم منزلة غير المنكر والجاحد، لأن مقام الوعظ والتعليم وهو يقتضي التحبب والتقرب والتأليف فناسب الإتيان بذالك.

ونجد في الآية قصرا آخر وقد جاء بطريق النفي والاستثناء ﴿ لَا إِلهَ إِلاَّ هُوَ﴾ ويأتي المقصور عليه بعد إلا في هذه الطريق، وفيه قصر الإلوهية على الله، وقد جاءت هنا بعد ﴿ إِنَّما إِلهُكُمُ اللَّهُ ﴾ وفي هذا توكيد لأن المقام يقتضيه.

ولأن القوم قد اتبعوا السامري في عبادة العجل وهذا يقتضي وجود إله يعبد من دون الله إذ أن المفسرين يقولون أن السامري رأى قوما يعبدون أصناما فجعل

٢٩٤- التفسير الكبير، (٢٢/ ١١٣).
٢٩٥- التحرير والتنوير، (٦/ ٣٠٠).

العجل تشبها بهم، وحالة القوم الذين اتبعوا السامري تقتضي الشك لما عاينوا من صفير العجل بفعل الرياح فجاء القصر هنا تحببا وتقربا، وهو قصر تعيين لترددهم، وجاء بيان المثبت (المعبود بحق) ﴿ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلهَ إِلاَّ هُوَ﴾ وهذا البيان المقصور على الله وحده جاء قصرا حقيقيا تحقيقيا مطابقا للواقع، ولو لم يكن بحق لكان ادعائيا لكونه سيكون مخالفا للواقع، لكن المقصود العبادة بحق، ولهذا تجد أن طريق القصر في ﴿ لا إله إلا هو] وهو صلة للموصول (الذي) بيان لقوله: ﴿ إِنَّما إِلهُكُمُ اللَّهُ﴾ ليكون توكيدا للكلام وبيانا للعبادة الحقة، ولهذا جاء بهذا الطريق (النفي والاستثناء) لكون هذا الطريق تتجه في خطاب الجاهل المنكر وعبادة القوم العجل يقتضي ذلك فتضمن التوكيد في قوله: ﴿ إِنَّما إِلهُكُمُ اللَّهُ ﴾ بيانا للعبادة التي ينبغي عليهم أن يعبدوا الله بها وفيها، تنزيهه تعالى من مشاركة غيره له بالعبادة، ولهذا جاء بضمير الشأن هو. والله أعلم.

٥- ومن طرق القصر في السورة الكريمة، طريق تعريف المسند والمسند إليه في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ﴾ [طه: ٥٣]

نستشف ما يدل على القصر من قول الرازي- رحمه الله-: " واعلم أن موسى عليه السلام لما ذكر الدلالة الأولى وهي دلالة عامة تتناول جميع المخلوقات من الإنسان وسائر الحيوانات وأنواع النبات والجمادات ذكر بعد ذلك دلائل خاصة وهي ثلاثة. أولها: قوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً﴾ "[٢٩٦]، وقوله الآخر على قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسى﴾ " إن فرعون لما سأل موسى عليه السلام عن ذلك قبل موسى ذلك السؤال واشتغل بإقامة الدلالة على وجود الصانع"[٢٩٧]

---

[٢٩٦]- التفسير الكبير، (٢٢/ ٦٨).
[٢٩٧]- التفسير الكبير، (٢٢/ ٦٣).

وقد أورد بعد ذلك مسألة: هل كان فرعون عارفا بالله تعالى، وأورد حجج من قال بذلك وإن لم يصرح بترجيح أحد القولين، إلا أنه قال بعد ذلك في إجابته على مسألة ﴿ فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسى﴾، وقال في سورة الشعراء: ﴿ وَما رَبُّ الْعالَمِينَ﴾ فالسؤال هاهنا بمن وهو عن الكيفية وفي سورة الشعراء بما وهو عن الماهية وهما سؤالان مختلفان والواقعة واحدة وهذا أيضا مما ينبه على أنه كان عالما بالله لأنه ترك المنازعة في هذا المقام لعلمه بغاية ظهوره وشرع في المقام الصعب"(٢٩٨)، ثم ذكر مسألة لماذا قال: ﴿ فَمَنْ رَبُّكُما﴾ ولم يقل ﴿ فَمَنْ إِلَهُكُمَا﴾ وأجاب بأنه أثبت نفسه ربا فِي قَوْلِهِ: ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ] [الشُّعَرَاءِ: ١٨](٢٩٩).

من هنا نستشف أنه رحمه الله يرى في قوله: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً﴾ القصر، وذلك لأن المقام يحتاج قصر الربوبية على الله للرد على ادعاء فرعون الربوبية، وجاء بمستلزمات الربوبية من التصريف والتدبير بالقصر نكاية فيه ولإلجامه، إذ أين لفرعون من تدبير للكون وهو الإنسان الضعيف، وبهذا يكون القصر عنده قصرا حقيقيا.

ووافقه ابن عاشور إذ قال: " ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً﴾ خبر لمبتدأ محذوف، أي هو الذي جعل لكم الأرض مهادا، والضمير عائد إلى الرب المفهوم من ﴿ رَبِّي﴾ [طه: ٥٢] ، أي: هو رب موسى، وتعريف جزأي الجملة يفيد الحصر، ألجاعل الأرض مهادا فكيف تعبدون غيره، وهذا قصر حقيقي غير مقصود به الرد على المشركين ولكنه تذكير بالنعمة وتعريض بأن غيره ليس حقيقا بالإلهية"(٣٠٠)

٢٩٨- التفسير الكبير، (٢٢/ ٦٣).
٢٩٩- انظر التفسير الكبير، (٢٢/ ٦٤).
٣٠٠- التحرير والتنوير، (١٦/ ٢٣٦).

وتعريف الطرفين من طرق القصر غير المشهورة(٣٠١)، ونحن نجد العالمين متفقين على أن قوله (الذي) خبر لمبتدأ محذوف أي (هو الذي) وهذا يفيد القصر أي لا غيره جعل لكم الأرض مهادا، وعندما ترجع إلى تفسير الرازي تجده يقول: " اعلم أن موسى عليه السلام استدل على إثبات الصانع بأحوال المخلوقات، وهو قوله: ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى﴾"، وإذا أضيف هذا إلى ما تقدم، علمت أن الآية عنده قد جاءت للرد على فرعون فيما حكاه عنه تعالى: ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ [طه: ٤٩]، أما قوله: ﴿ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ [طه: ٥١] فقد بين الرازي أن موسى لم يلتفت لهذا، إنما اقتضب بقوله علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى، وقد بين سبب سؤال فرعون عن ذلك بعد أن حاجه موسى عليه السلام فقال هو للإيقاع بموسى أو شنشنة منه، وقد ذكر ابن عاشور هذا أيضا غير أنه لم يربط الآية بذلك كما فعل الرازي فجعلها استطرادا وبيانا لقوله لا يضل ربي ولا ينسى.

من هنا نستطيع أن نقول: إن القصر عند ابن عاشور حقيقي غير مقصود به الرد كما صرح هو بذلك، وهو حقيقي مقصود به الرد عن الرازي. والمنفي في الآية هو غير الله وبما أن السياق عند الرازي كما وضحنا سابقا هو الرد على ادعاء فرعون الربوبية وهذا الأمر من خصائص الربوبية فهو من باب رد إبراهيم على مدعي الربوبية حين قال له: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وقد ذكرها الرازي عند تفسيره على هذه الآية محل البحث، وبهذا يتقرر عنده أن القصر حقيقي تحقيقي وهو كذالك عند ابن عاشور إذ هو مطابق للواقع.

٣٠١- تحقيق الفوائد الغياثية، للكرماني، ت: د/ علي بن دخيل الله بن عجيان العوفي، ط١، مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة، (١/ ٥٠٤)، وانظر: من بلاغة القرآن، د/ أحمد أحمد بدوي، نهضه مصر: القاهرة، ص١٢٥.

الفصل الخامس: الفصل والوصل.

وفيـــه:

أولا: التعريف بالفصل والوصل.

ثانيا: التوجيه البلاغي للفصل والوصل بين الشيخين في السورة الكريمة.

أولا: التعريف بالفصل والوصل.

الفصل والوصل بين المفردات أو بين الجمل بابٌ دقيق المجرى، لطيف المغزى، جليل المقدار، كثير الفوائد، غزير الأسرار، وقد تنبّه العلماء قديمًا لدقة هذا الباب، وجعلوه البلاغة بأسرها؛ حيث قالوا: البلاغة معرفة الفصل من الوصل(٣٠٢)، وما قصرها عليه لأن الأمر كذلك، كما يقول القزويني " وإنما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموضه وأنّ أحدا لا يكمل فيه إلّا كمل في سائر فنونها، فوجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ وجه في البيان"(٣٠٣)، ويزيد السبكي ذلك وضوحا بقوله: إن علم الفصل والوصل يتوقف على معرفة ما يجب لكل واحد من الجملتين، وذلك يتوقف على جميع الأبواب الماضية من أحوال المسند إليه والمسند وغير ذلك، فإذا توقف إحدى الجملتين على غير هذا الباب توقف العلم بحال الجملتين معا عليه ضرورة أن ما توقف عليه الجزء توقف عليه الكل(٣٠٤).

ويراد بالفصل عدم الربط بين أجزاء الكلام بحرف عطف، والوصل الربط بين أجزاء الكلام بحرف عطف، فالوصل معناه العطف، أي عطف الكلام بعضه على بعض، سواءٌ أكان هذا العطف للمفردات أم للجمل، وسواءٌ أكان بالواو أو بغيرها كالفاء وثم و أو، وغيرها، والفصل هو ترك العطف(٣٠٥).

وقد قصر علماء المعاني عنايتهم في هذا الباب على البحث في عطف الجمل «بالواو» دون بقية حروف العطف؛ لأن «الواو» هي الأداة التي لا تف سوى مجرد الاشتراك في الحكم ومطلق الجمع، يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني- رحمه الله-: "واعلمْ أنه إنما يَعْرِضُ الإشكالُ في "الواو" دونَ غيرِها مِنْ حروفِ العطفِ، وذاك لأَن تلكَ تفيدُ مع الإشراكِ معاني، مثلَ أنَّ "الفاء" توجب الترتيب من

---

٣٠٢ - انظر: البيان والتبيين، للجاحظ، دار ومكتبة الهلال: بيروت، (١، ٩١)، والعقد الفريد، لابن عبد ربه، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، (٢/ ١٢٤)، والبصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي، ت: د/ وداد القاضي، ط١، دار صادر: بيروت، (٢/ ٦٦)، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل: بيروت، (١/ ٢٤٤).

٣٠٣ - الإيضاح، (٣/ ٩٧).

٣٠٤ - انظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لبهاء الدين السبكي، (١/ ٤٧٩).

٣٠٥ - انظر: مفتاح العلوم، ص٢٤٩، والإيضاح، (٣/ ٩٧).

غير تراخ، و "ثم" توجيه مَع تراخٍ، و "أوْ" تردِّدُ الفعلَ بينَ شيئين وتجعلُهُ لأِّحِدهما لا بِعَيْنِه، فإذا عطفتَ بواحدة منها الجملةَ على الجملةَ، ظهرتِ الفائدةُ، فإذا قلت: "أعطاني فشكرته"، ظهرَ بالفاءِ أنَّ الشكرَ كان مُعْقَباً على العطاءِ ومسبَّباً عنه وإذا قلتَ: "خرجتُ ثم خرجَ زيدٌ"، أفادتْ "ثم" أن خروجَه كان بَعْدَ خروجِكَ، وأن مُهْلَةً وقعتْ بينهما وإذا قلتَ: "يعطيكَ أو يكسوكَ"، دلَّتْ "أو" على أنه يفعلُ واحداً منهما لا بِعَيْنِه. وليس "للواو" معنى سوى الإشراكِ في الحكمِ الذي يَقْتَضيهِ الإعرابُ الذي أتبعتَ فيه الثانيَ الأولَ. فإذا قلت: "جاءني زيد وعمرو" لم تفد بالواو شيئاً أكثر من إشراك عمرو في المجيء الذي أثبتَّه لزيدٍ، والجمْعِ بينه وبينه، ولا يُتَصوَّرُ إشراكٌ بينَ شيئين حتَّى يكونَ هناك معنى يقعُ ذلك الإشراكُ فيه. وإذا كانَ ذلك كذلكَ، ولم يكن مَعَنا في قولنا: "زيد قائم وعمرو قاعدٌ" معنى تزعمُ أن "الواو" أشركتْ بَينَ هاتين الجملتين فيه، ثبت إشكال المسألة"[٣٠٦].

[٣٠٦] ـ دلائل الإعجاز، ص٢٢٤.

ثانيا: توجيه الفصل والوصل بلاغيا بين الشيخين.

١- الوصل: في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرى ﴾ [طه: ٣٧]

ذكر الرازي- رحمه الله- أن آية ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى﴾ [طه: ٣٦] نعمة من النعم العظام، وأن آية [وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرى﴾ تذكير بالنعم السابقة لزيادة طمأنته(٣٠٧)، وهي لتقوية الخبر السابق، ونحا نحوه ابن عاشور فقال: " جُمْلَةُ ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ﴾ معطوفة على جملة ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ [طه: ٣٦] لأن جملة قد أوتيت سؤلك تتضمن منّة عليه، فعطف عليها تذكير بمنة عليه أخرى في وقت ازدياده ليعلم أنه لما كان بمحل العناية من ربه من أول أوقات وجوده فابتدأه بعنايته قبل سؤاله فعنايته به بعد سؤاله أحرى، ولأن تلك العناية الأولى تمهيد لما أراد الله به من الاصطفاء والرسالة، فالكرم يقتضي أن الابتداء بالإحسان يستدعي الاستمرار عليه. فهذا طمأنة لفؤاده وشرح لصدره ليعلم أنه سيكون مؤيدا في سائر أحواله المستقبلة"(٣٠٨).

وفي قول الله تعالى: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ [طه: ٣٦] جملة خبرية وجاء بالفعل الماضي للدلالة على تحقق السؤال، فلم يقل سأجيب طلبك أو أجبناك، بل قال قد أوتيت، فـ (أوتيت) فعل ماض مبنيّ لما لم يُسمَّ فاعله، ونائب الفاعل (التاء) و(سؤلك) مفعول به منصوب(٣٠٩)، قال البقاعي: {قال} أي الله: [قد أوتيت] بأسهل أمر {سؤلك] أي ما سألته {يا موسى} من حل عقدة لسانك وغير ذلك ولو شئت لم أفعل ذلك ولكني فعلته منة مني عليك(٣١٠)، ثم عطف عليها الجملة الخبرية مؤكدة قال ابن عاشور وَتَأْكِيدُ الْخَبَرِ بلام الْقسم و (قد) لتحقيق الخبر، لأن موسى- عليه السلام- قد علم ذلك، فتحقيق الخبر له تحقيق للازمه المراد منه، وهو أن عناية

---

٣٠٧ - انظر: التفسير الكبير، (٢٢/ ٥١).

٣٠٨ - التحرير والتنوير، (١٦/ ٢١٥).

٣٠٩ - الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، ط٤، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، (١٦/ ٣٦٦).

٣١٠ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (١٢/ ٢٨٥).

الله به دائمة لا تنقطع عنه زيادة في تطمين خاطره بعد قوله تعالى: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ [طه: ٣٦](٣١١)، لأن المقام مقام تلطف(٣١٢).

وقد اتفقت الجملتان خبرا ولفظًا ومعنى، مع وجود المناسبة المسوّغة للوصل فيما بينهما؛ ولم يمنع من العطف مانع، فمعنى الآية: أني قد حفظتك وأنت طفل رضيع فكيف لا أحفظك وقد أهلتك للرسالة(٣١٣)، ومع أن الآية مؤكدة للتي قبلها إلا أنها فصلت عن سابقتها؛ وذلك لأنه ليس بينهما من الاتصال والاتحاد والتلاحم ما يمنع العطف بالواو كما في آية البقرة ﴿ الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، صحيح أن جملة ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ [طه: ٣٦] جواب عن طلب، غير أنها تتضمن منة كما يقول ابن عاشور ولهذا عطف عليها ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرى﴾ وإلا فإنه ليس بين هذا الخبر والخبر السابق تلاحم وترابط يمنع معه العطف وهذا مما عده البلاغيون من التوسط بين الكمالين، فهو توسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع فوجب الوصل.

٢- الفصل: في قوله تعالى: ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [طه: ٤٢]

ذكر الرازي- رحمه الله- أن آية ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآياتِي وَلا تَنِيا فِي ذِكْرِي] [طه: ٤٢] جاءت لبيان سبب اصطناع الله له، فهي جملة استئنافية لبيان سبب الاصطناع، أما ابن عاشور- رحمه الله- فذكر احتمالين؛ إما أنها جملة لبيان جملة ﴿ اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى﴾ [طه: ٢٤]، أو بيان استئنافي لـ ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]، وعليه فقد وافق الرازي فيما ذهب إليه في الاحتمال الثاني،

---

٣١١ - انظر: التحرير والتنوير، (١٦/ ٢١٥).
٣١٢ - انظر: التفسير الكبير، (٢٢/ ٥١).
٣١٣ - انظر: البحر المحيط في التفسير، (٧/ ٣٢٩).

وعلى كلا الاحتمالين فهي عنده بيان استئنافي. قال الرازي: " واعلم أنه سبحانه وتعالى لما عدد عليه المنن الثمانية في مقابلة تلك الالتماسات الثمانية رتب على ذكر ذلك أمرا ونهيا؛ أما الأمر فهو أنه سبحانه وتعالى أعاد الأمر بالأول، فقال: قوله: ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآياتِي وَلا تَنِيا فِي ذِكْرِي﴾ اعلم أنه سبحانه وتعالى لما قال: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]عقبه بذكر ماله اصطنعه وهو الإبلاغ والأداء"(٣١٤).

أما ابن عاشور فقال: " رجوع إلى المقصد بعد المحاورة، فالجملة بيان لجملةِ: ﴿ اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى﴾ [طه: ٢٤]، أو هي استئناف بياني لأن قوله: ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١] يؤذن بأنه اختاره وأعده لأمر عظيم، لأن الحكيم لا يتخذ شيئا لنفسه إلا مريدا جعله مظهرا لحكمته، فيترقب المخاطب تعيينها، وقد أمره هنا بالذهاب إلى فرعون وأن يذهب أخوه معه"(٣١٥).

وهناك اتفاق بين المفسرين على أن الآية بيان استئنافي، وذلك تبعا للرازي فقد ذكر أبو حفص سراج الدين عمر ابن على الحنبلي مثل قول الرازي(٣١٦)، وذكر أبو السعود أن ﴿ اذهب أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ [طه: ٤٢] أي: وليذهب أخوك حسبما استدعيت استئناف مسوق لبيان ما هو المقصود بالاصطناع(٣١٧)، وغيرهما(٣١٨).

والاستئناف البياني هو أن تكون الجملة الأولى متضمّنة لسؤال تقع الجملة الثانية جوابًا له، وجملة ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١] جملة خبرية، وجملة ﴿اذهب أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ [طه: ٤٢] إنشائية فبينهما انقطاع.

---

٣١٤ ـ التفسير الكبير، (٢٢/ ٥٦).
٣١٥ ـ التحرير والتنوير، (١٦/ ٢٢٣).
٣١٦ ـ انظر: اللباب في علوم الكتاب، (١٣/ ٢٤٧).
٣١٧ ـ انظر: تفسير أبي السعود.
٣١٨ ـ انظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الهرري، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط١، دار طوق النجاة: بيروت ، (١٧/ ٣٠٦)، وانظر: روح المعاني، (٨/ ٥٠٧).

ولم يقدر أحد سؤالا، ولكن يفهم من قول الرازي: "عقبه بذكر ماله اصطنعه وهو الإبلاغ والأداء" أن السؤال المثار هو: لمَ اصطنعتني؟، ورأى أن ذلك في الأمر بالذهاب لتبليغ الدعوة.

والسؤال الناشئ عن الجملة الأولى عن سبب عام للحكم الذي تضمنته الجملة الأولى وهو: لما اصطنعتني؟، ثم إن الخطاب لموسى عليه السلام والأمر له وعطف في قوله واصطنعتك لنفسي فجاء الاستئناف بالأمر له، وعطف عليه هارون في قوله: ﴿ اذهب أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ [طه: ٤٢] لأن المناجاة كانت بجانب الطّور، ولم يكن معه أخوه(٣١٩)، " وَجُمْلَةُ ﴿ اذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ بَدَلًا مِنْ جُمْلَةِ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ﴾ [طه: ٤٢] ، فيكون قوله: ﴿ اذْهَبا] [طه: ٤٢] أمرا لموسى بأن يذهب وأن يأمر أخاه بالذهاب معه وهارون غائب، وهذا أنسب لسياق الجمل"(٣٢٠)، ففي قوله تعالى: ﴿ اذهب أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذهبا إلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طغى * فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يخشى﴾ [الآيات، طه: ٤٢ - ٤٤] تغليب المخاطب وهو موسى-عليه السلام- بأسلوب الخطاب على الغائب هارون-عليه السلام-، والغرض البلاغيّ اعتبار الغائب كأنه حاضِرٌ يتلقَّى الخطاب.(٣٢١)

ثالثا: الوصل في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنا إلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: ١١٥]

---

٣١٩ - انظر: البحر المحيط في التفسير،(٨/ ١٤٤).
٣٢٠ - التحرير والتنوير، (١٦/ ٢٢٤).
٣٢١ - انظر: البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي،(١/ ٥١٢).

هذا عطف قصة على قصة، وقد دل عطف قصة آدم على قوله: ﴿وَصَرَّفْنا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ] [طه: ١١٣] للدلالة على أن أساس بني آدم على العصيان، وعرقهم راسخ في النسيان من قبل هذا الزمان، فَنَسِيَ العهد ولم يعن به حتى غفل عنه(٣٢٢).

ومع أن الجملتين مختلفتان من حيث إن أحدهما خبرية والأخرى إنشائية، إلا أن هذا التخالف لا يضر، لأن المقصود بالقسم مجرد الاهتمام بالقصة تنبيها على قصد التنظير بين القصتين في التفريط في العهد(٣٢٣)، قال الألوسي: هو عطف على صَرَّفْنا عطف القصة على القصة، والتخالف فيه إنشاء وخبرية لا يضر مع أن المقصود بالعطف جواب القسم، وحاصل المعنى عليه صرفنا الوعيد وكررناه لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا، لكنهم لم يلتفتوا لذلك ونسوه، كما لم يلتفت أبوهم إلى الوعيد ونسي العهد إليه. والفائدة في ذلك الإشارة إلى أن مخالفتهم شنشنة أخزمية وأن أساس أمرهم ذلك وعرقهم راسخ فيه(٣٢٤).

وقد ذكر الرازي للعطف في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: ١١٥] عدة وجوه، منها:

١ - أنه إنجاز للوعد عطفا على قَوْلِهِ: ﴿ كَذلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ [طه: ٩٩].

٢- أنه تأكيد لقوله: ﴿ وَصَرَّفْنا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾ [طه: ١١٣] فالآية جاءت لبيان أن طاعة بني آدم للشيطان وتركهم التحفظ من وساوسه أمر قديم، إنا قد عهدنا إلى آدم من قبلُ، أَي: من قبلِ هؤلاء الذين صرفنا لهم الوعيد، وبالغنا في تنبيهه، حيث قلنا: ﴿ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾، ثُم إنه مع

---

٣٢٢ - انظر: تفسير البيضاوي، (٤/ ٤٠).
٣٢٣ - انظر: التحرير والتنوير، (١٦/ ٣١٨).
٣٢٤ - انظر: روح المعاني، (٨/ ٥٧٨).

ذلك نسي وترك ذلك العهد(٣٢٥)، ولهذا قال صاحب الكشاف إن المعنى لقد أمرنا أباهم آدم ووصيناه أن لا يقرب الشجرة، وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين إن قربها...(٣٢٦)

٣- أنه جاء تحقيقا لقوله: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه: ١١٤] ودلالة ذلك على ضعف القوة البشرية عن التحفظ، فيحتاج حينئذ إلى الاستعانة بربه في أن يوفقه لتحصيل العلم ويجنبه عن السهو والنسيان(٣٢٧).

٤-أنه تسلية للنبي- صلى الله عليه وسلم- حين عجل بالقرآن في قوله: ﴿ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: ١١٤] لأنه لما قيل له: ﴿ وَلا تَعْجَلْ﴾ ضاق قلبه وقال في نفسه: لولا أني أقدمت على مالا ينبغي لما نهيت عنه(٣٢٨).

أما ابن عاشور فقد رأى أن العطف على قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه: ٩٩] للدلالة على استحباب الزيادة من هذه القصص ذات العبرة للنبي؛ رجاء أن يفيق قومه من ضلالاتهم، وتحقيقا لقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه: ١١٤]، فهي عطف قصة على قصة(٣٢٩).

٤- الفصل في قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠]

هذه الآية من شواهد البلاغيين لكمال الاتصال حيث اشتملت الجملة الأولى خفاء وإبهام أظهرته الجملة الثانية، فجملة: ﴿ قالَ يَا آدَمُ﴾ مبينة ومفسرة لما خفي ،

---

٣٢٥ - انظر: التفسير الكبير، (٢٢/ ١٢٣).
٣٢٦ - انظر: الكشاف، (٣/ ٩١).
٣٢٧ - انظر: التفسير الكبير، (٢٢/ ١٢٣).
٣٢٨ - انظر: التفسير الكبير، (٢٢/ ١٢٤).
٣٢٩ - انظر: التحرير والتنوير، (١٦/ ٣١٨).

وهي الوسوسة، والإمامان الرازي وابن عاشور على ذلك(٣٣٠)، وتكمن بلاغة الصورة في أن للبيان بعد الإبهام وقعا في النفس وأثرا حسنا، وهناك من يرى أنها قد تكون استئنافا بيانيا وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كأنه قيل: فما قال له في وسوسته فقيل قال: ﴿ يا آدم هَلْ أَدُلُّكَ على شَجَرَةِ الخلد﴾ ومنهم ابن السعود والألوسي(٣٣١).

فالجملتان بينهما اتصال وتلاحم وانسجام يمنع أن يأتي بوصل من خارجه، وللفصل في الآية سر عجيب وهو أن الوسوسة في أصلها خفاء، والوقوف عندها يجذب السامع ويحرك بواعث السؤال عنده، فجملة: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ فيها ظلال وغموض خفيف، وهي مثار لكثير من الاستفسارات والاستفهامات، مما حسن الوقف عندها، وتظل كذلك في منطقة الظل حتى يأتي ما يخرجها إلى الوضوح والبيان، وهو قوله: ﴿ يَا آدَمُ﴾ فتروى ظمأ تلك الأشواق التي حملتها جملة ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ] وشبع التطلع العاطفي للمجهول وتأكد المعنى من الناحية العقلية.

ثم إنه لو جاء بالواو لأوهم المخالفة والتغاير(٣٣٢)، فيكون المعنى: ﴿ يَا آدَمُ﴾ غير الوسوسة، ويكون وسوس إليه بشيء غير مذكور، لأن الواو تدل على التغاير، والله أعلم بمراده.

---

٣٣٠ ـ انظر: التفسير الكبير، (٢٢/ ١٢٦)، والتحرير والتنوير، (١٦/ ٣٥٢).
٣٣١ ـ انظر: إرشاد العقل السليم،(٦/ ٤٧)، و روح المعاني، (٨/ ٥٨٢).

٣٣٢ ـ انظر: من بلاغة القرآن،١٣٨.

الفصل السادس الإيجاز والإطناب، والمساواة.

وفيـــه:

أولا: التعريف بالإيجاز والإطناب، والمساواة.

ثانيا: التوجيه البلاغي للإيجاز والإطناب عند الشيخين في السورة الكريمة.

أولا: التعريف بالإيجاز، والإطناب، والمساواة:

١-تعريف الإيجاز:

عرّف البلاغيون البلاغة بأنها مطابقةُ الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته(٣٣٣)، والحال قد تقتضي الإيجاز في القول وطي الكلمات، وعندئذ تكون البلاغة في أن يُوجز المتكلم ويختصر كلامه، وقد تقتضي الإطناب وإطالة القول، وعندئذ تكون البلاغة في الإسهاب وإشباع القول وإطالة الكلام؛ ولذلك قال أعرابي عندما سُئل عن البلاغة: البلاغة الإيجاز في غير عجز والإطناب في غير خطل(٣٣٤)، وسأل معاوية سحار العبدي: ما تعدون البلاغة فيكم؟ فقال سُحار: الإيجاز، قال معاوية: وما الإيجاز؟ فأجاب: أن تجيب فلا تبطئ وتقول فلا تخطئ(٣٣٥). والإيجاز هو: تأدية المقصود من الكلام بأقل عبارة متعارف عليها(٣٣٦)، وهو نوعان: إيجاز حذف، وإيجاز قِصَر.

أما إيجاز الحذف فقد عرّفه البلاغيون: بأنه التعبير عن المعاني الكثيرة في عبارة قليلة، بحذف شيء من التركيب مع عدم الإخلال بتلك المعاني، والمحذوف أما جزء جملة وجملة أو أكثر من جملة. كما في قول الله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢] أي أهل القرية وأصحاب العير، فحذف المضاف في الموضعين(٣٣٧).

وأما إيجاز القصر: فهو التعبير عن المعاني الكثيرة في عبارة قليلة ليس فيه حذف، كقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] ، فإنه لا حذف فيه

---

٣٣٣ - انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، (١/ ٤١).
٣٣٤ - انظر: البيان والتبيين، للجاحظ، (١، ٩٩).
٣٣٥ - انظر: نفسه، (١، ٩٨).
٣٣٦ - انظر: مفتاح العلوم، ص٢٧٧ ، والإيضاح في علوم البلاغة، (٣/ ١٧١).
٣٣٧ - انظر: الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - بيروت، ص١٨١، والإيضاح في علوم البلاغة، (٣/ ١٨٤)، والطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (٣/ ١٧٦).

مع أن معناه كثير يزيد على لفظه؛ لأن المراد به أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتل قُتل كان ذلك داعيا له قويا إلى ألا يقدم على القتل، فارتفع بالقتل -الذي هو القصاص- كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، فكان ارتفاع القتل حياة لهم، وفضله على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا المعنى، وهو قولهم: "القتل أنفى للقتل"(٣٣٨).

تعريف الإطناب:

وهو زيادة اللفظ عن المعنى لفائدة، فإذا لم تكن الزيادة لفائدة فهي تعد تطويلا أو حشوا(٣٣٩)، وقد مثل ابن الأثير للإيجاز والإطناب، والتطويل فقال: الإيجاز هو أقرب الطرق الثلاثة إليه، والإطناب والتطويل هما الطريقان المتساويان في البعد إليه، إلا أن طريق الإطناب تشتمل على مَنْزَهٍ من المَنَازِه لا يوجد في طريق التطويل(٣٤٠)، ومثال الإطناب كما في قول الله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]، فقد أراد زكريا -عليه السلام- أن يخبر بكبره وتقدم سنه، فجعل الألفاظ زائدة على المعاني لفائدة، وهي إظهار ضعفه وتأكيد الوهن؛ لأنه لو قال: رب إني قد كبرت لأفاد ذلك الإخبار بتقدم العمر فقط، دون ظهور الضعف، إذ قد يكون مع تقدم سنه قويّا نشيطًا.

تعريف المساواة:

وهو أن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني لا يزيد بعضها على بعض، وهو المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب؛ وإليه أشار القائل بقوله: كأنّ ألفاظه قوالب لمعانيه؛ أي: لا يزيد بعضها على بعض. فما في القرآن من ذلك

---

٣٣٨ - انظر: الصناعتين، ص١٧٥، والإيضاح في علوم البلاغة، (٣/ ١٨١)، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، (٢/ ٣٣٢)، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، (١/ ٥٨٦).

٣٣٩ - انظر: الطراز، (٢/ ١٢٣).

٣٤٠ - انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (٢/ ٢٨١).

قوله عزّ وجل: ﴿ حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيامِ﴾[٣٤١]، غير أن السيوطي يقول: إن المساواة لا يكاد توجد، خصوصا في القرآن[٣٤٢].

[٣٤١] ـ انظر: الصناعتين، ص١٨١.
[٣٤٢] ـ انظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ت: أحمد بن علي، دار الحديث: القاهرة، (٣/ ١٣٧).

ثانيا: التوجيه البلاغي للإيجاز والإطناب عند الشيخين:

أولا: توجيه الإيجاز:

١- الإيجاز في قوله تعالى: ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]

في الآية الكريمة إيجاز بحذف جملة، والتقدير: أهدى العقول إلى كيفية الانتفاع به، وقد استوقفت هذه الآية المفسرين كثيرا بما حملته من دلالات متنوعة، على الرغم من وجازتها قال الزمخشري: لله درّ هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه! وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالبا للحق(٣٤٣)، فقد حملت دلالات شتى وصورا جمة، وقال الرازي: " والشروع في بيان عجائب حكمة الله تعالى في الخلق والهداية شروع في بحر لا ساحل له"(٣٤٤)، وقوله تعالى: ﴿هدى﴾ بمعنى: أرشد قال أبو السعود: قوله: ﴿ثُمَّ هدى﴾ أي: إلى طريق الانتفاع والاتفاق بما أعطاه وعرّفه كيف يَتوصّل إلى بقائه وكماله(٣٤٥).

والإمام الرازي يقدر المحذوف بقوله: "ثم أعطاهم العقول التي بها يتوصلون إلى كيفية الانتفاع به"(٣٤٦)، وكذلك رأى ابن عاشور قال رحمه الله: أي خلق الأشياء ثم هدى إلى ما خلقهم لأجله، وهداهم إلى الحق بعد أن خلقهم، وأفاض عليهم النعم، على حد قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِساناً وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [الْبَلَد: ٨- ١٠] أي طريق الخير والشر، أي فرقنا بينهما بالدلائل الواضحة."(٣٤٧)، ومن المفسرين من رأى أنها كقوله: ﴿ والذي قَدَّرَ فهدى﴾ [الأعلى: ٣] أي قدر قدرا

---

٣٤٣ - انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (٣/ ٦٧).
٣٤٤ - التفسير الكبير، (٢٢/ ٦٥).
٣٤٥ - انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، (٦/ ٢٠).
٣٤٦ - التفسير الكبير، (٢٢/ ٦٥).
٣٤٧ - التحرير والتنوير (١٦/ ٢٣٣).

وهدى الخلائق أليه، أي كتب الأعمال والآجال والأرزاق، ثم الخلائق ماشون على ذلك ولا يحيدون عنه، ولا يقدر أحد على الخروج منه(٣٤٨).

إذن حمل المحذوف دلالات كثيرة وذلك لشغل ذهن فرعون بما يعود عليه بالنفع مقام دعوة، وسؤال فرعون فمن ربكما يا موسى وإن كان فيه تعالي من قبل فرعون إلا أن موسى عليه السلام لم يهتم لذلك وعمل بموجب قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾، وسلوك هذا الطريق مع أنه يجوز أن يجيب بقوله ربنا رب العالمين للإرشاد، قال: الألوسي " ومن هنا قيل: كان من الظاهر أن يقول عليه السّلام: ربنا رب العالمين لكن سلك طريق الإرشاد والأسلوب الحكيم وأشار إلى حدوث الموجودات بأسرها واحتياجها إليه سبحانه واختلاف مراتبها وأنه تعالى هو القادر الحكيم الغني المنعم على الإطلاق"(٣٤٩)، وهو مناسب لأول الآية قال الرازي واعلم أن موسى عليه السلام استدل على إثبات الصانع بأحوال المخلوقات وهو لب مجيئه إلى فرعون(٣٥٠).

٢- الإيجاز بالحذف في قوله تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هارُونَ وَمُوسى﴾ [طه: ٧٠]

أشار الرازي- رحمه الله- إلى الإيجاز في الآية فقال: " اعلم أن في قوله: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً﴾ دلالة على أنه ألقى ما في يمينه وصار حية تلقف ما صنعوا وظهر الأمر فخروا عند ذلك سجدا"(٣٥١)، ففي الآية التعبير عن المعاني الكثيرة في عبارة قليلة؛ وذلك بحذف جمل كثيرة كما هو واضح من كلامه رحمه الله.

٣٤٨- انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، (٥/ ٢٦٢).
٣٤٩ - روح المعاني، (٨/ ٥١٥).
٣٥٠ - انظر: التفسير الكبير، (٢٢/ ٦٤).
٣٥١ - التفسير الكبير، (٢٢/ ٨٦).

أما العلامة ابن عاشور فيقول: " الفاء عاطفة على محذوف يدل عليه قوله: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ [طه: ٦٩] . والتقدير: فألقى فتلقفت ما صنعوا، كقوله تعالى: ﴿ أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٣]"(٣٥٢)، وقد بين الجمل المحذوفة في قوله تعالى : " ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً﴾ [طه: ٧٠] دلالة على أنه ألقى العصا وصارت حية وتلقفت ما صنعوه، وهو هنا يأتي بالجمل المحذوفة من خلال ذلك التعبير، ونجدة يتقاطع من الرازي فيما أورد، كما تقاطع معه قبله البيضاوي- رحمه الله- حيث قال: " ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً﴾ أي: فألقى فتلقفت فتحقق عند السحرة أنه ليس بسحر وإنما هو آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته"(٣٥٣).

والفاء التي أشار إليها ابن عاشور فصيحة معربة عن جمل غنية عن التصريح قال الألوسي -رحمه الله- : "والفاء في قوله تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً﴾ فصيحة معربة عن جمل غنية عن التصريح، أي: فزال الخوف، وألقى ما في يمينه، وصارت حية، وتلقفت حبالهم وعصيهم، وعلموا أن ذلك معجز فألقى السحرة على وجوههم سجدا لله تعالى تائبين مؤمنين به عز وجل وبرسالة موسى عليه السلام"(٣٥٤).

ففي التعبير حذف الكثير الذي دل عليه المقام، فالآيات من قوله تعالى: ﴿ قالُوا يَا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقى (٦٥) قالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذا حِبالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى (٦٧) قُلْنا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلى (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتى (٦٩) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قالُوا آمَنَّا

---

٣٥٢ - التحرير والتنوير، (١٦/ ٢٦١).
٣٥٣ - البيضاوي،(٤/ ٣٣).

٣٥٤ - روح المعاني للألوسي، (٨/ ٥٤١).

بِرَبِّ هارُونَ وَمُوسى (٧٠)] مبنية على الحذف ففي قوله تعالى: ﴿ قالُوا يَا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقى﴾ لما تقدم ذكر الموعد وهو يوم الزينة وتقدم أيضا قوله: ﴿ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ [طَه: ٦٤] صار ذلك مغنيا عن قوله فحضروا هذا الموضع وقالوا: إما أن تلقي لدلالة ما تقدم عليه"(٣٥٥)، وجاء عند أبي حيان أن في الكلام حذفا تقديره فجاؤوا مصطفين إلى مكان الموعد، وبيد كل واحد منهم عصا وحبل، وجاء موسى وأخوه ومعه عصاه فوقفوا وقالوا: ﴿ يَا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾(٣٥٦)، وقد علق الألوسي بقوله: وإنما لم يتعرض لإجماعهم وإتيانهم مصطفين إشعارا بظهور أمرهما وغنائهما عن البيان(٣٥٧).

والحذف في قوله: ﴿ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾ أي: عَصَاكَ، وفي قوله: ﴿ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقى﴾ أي: عَصَاهُ(٣٥٨)، وفي قوله: [أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقى﴾ أَنْ مع ما بعده إما منصوب بفعل مضمر، أو مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف، معناه: اختر أحد الأمرين، أو الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا(٣٥٩)، وفي قوله: ﴿فَإِذا حِبالُهُمْ﴾ إضمار، أي: فألقوا فإذا حبالهم، وعصيهم(٣٦٠)، ونجده في حذف الفاعل في قوله: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ]﴾(٣٦١).

من هنا نقول إن الإيجاز ممتد في القصة القرآنية منذ ابتدائها إلى انتهائها، وعدم التعرض للجمل المحذوفة " أَلْقَى مَا فِي يَمِينِهِ وَصَارَ حَيَّةً تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا وَظَهَرَ الْأَمْرُ" وفي عدم ذكر المحذوف دلالة على المفاجأة التي جاءت سريعا

---

٣٥٥ ـ التفسير الكبير، (٢٢/ ٨١)
٣٥٦ ـ انظر: البحر المحيط أبو حيان (٧/ ٣٥٣)
٣٥٧ ـ انظر: روح المعاني للألوسي، (٨/ ٥٣٧).
٣٥٨ ـ انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن تفسير البغوي، للبغوي، ت: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي -بيروت، (٣/ ٢٦٧).
٣٥٩ ـ انظر: الكشاف، (٣/ ٧٣).
٣٦٠ ـ انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، للبغوي، ت: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي -بيروت، (٣/ ٢٦٧).
٣٦١ ـ راجع فصل المسند والمسند إليه من هذا البحث.

وبهرت السحرة قال الألوسي: وفيه إيقاظ السامع لإلطاف الله تعالى في نقله من شاء من عباده من غاية الكفر والعناد إلى نهاية الإيمان والسداد، مع ما فيه من المشاكلة والتناسب، والمراد أنهم أسرعوا إلى السجود(٣٦٢).

٣- الإيجاز في قوله تعالى: ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: ٩٦]

ذهب ابن عاشور إلى أن المعنى في قوله تعالى: ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: ٩٦] هو: إني بعملي العجل للعبادة نقضت إتباع شريعة موسى. والمعنى: أنه اعترف أمام موسى بصنعه العجل واعترف بأنه جهل فضل، واعتذر بأن ذلك سولته له نفسه."(٣٦٣)، وقد تناول ابن عاشور كَلِمَات [بَصُرْتُ، بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ، وقبضت، وقَبْضَةً، وَأثر، ونبذتها] على حقائق مدلولاتها كما ذهب إليه جمهور المفسرين كان المعنى أبصرت ما لم يبصروه، أي نظرت ما لم ينظروه، بناء على أن بصرت، وأبصرت كلاهما من أفعال النظر بالعين...(٣٦٤)، فإذا صرفت هذه الكلمات الست إلى معان مجازية كان بصرت بمعنى علمت واهتديت، اهتديت إلى علم ما لم يعلموه، وهو علم صناعة التماثيل والصور الذي به صنع العجل، وعلم الحيل الذي أوجد به خوار العجل، وكانت القبضة بمعنى النصيب القليل، وكان الأثر بمعنى التعليم بالشريعة، وكان نبذت بمعنى أهملت ونقضت، أي كنت ذا معرفة إجمالية من هدي الشريعة فانخلعت عنها بالكفر. وبذلك يصح أن يحمل لفظ الرسول على المعنى الشائع المتعارف وهو من أوحي إليه بشرع من الله وأمر بتبليغه(٣٦٥)،وعلى هذا ليس في الآية حذف.

---

٣٦٢ ـ انظر: روح المعاني للألوسي، (٨/ ٥٤١).
٣٦٣ ـ انظر: التحرير والتنوير، (١٦/ ٢٩٦).
٣٦٤ ـ انظر: نفسه، (١٦/ ٢٩٥).
٣٦٥ ـ نفسه بتصرف، (١٦/ ٢٩٦).

وقد نقل الرازي ما ذكره أبو مسلم الأصفهاني، ورجحه ابن عاشور، فقال: واعلم أن هذا القول الذي ذكره أبو مسلم ليس فيه إلا مخالفة المفسرين[٣٦٦]، فقد ذهب المفسرون إلى أن المراد بالرسول جبريل-عليه السلام-، والمراد بأثره التراب الذي أخذه من موضع حافر دابته[٣٦٧]، وعليه فالآية عنده فيها حذف مضافين أي من أثر حافر فرس الرسول ويرجح هذا ما ذكره الزمخشري حيث قال: قرأ ابن مسعود: من أثر فرس الرسول. فإن قلت: لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس؟ قلت: حين حل ميعاد الذهاب إلى الطور أرسل الله إلى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به، فأبصره السامري فقال: إن لهذا شأنا، فقبض قبضة من تربة موطئه، فلما سأله موسى عن قصته قال: قبضت من أثر فرس المرسل إليك يوم حلول الميعاد، ولعله لم يعرف أنه جبريل[٣٦٨].

---

[٣٦٦] - التفسير الكبير، (٢٢/ ١١١).
[٣٦٧] - التفسير الكبير، (٢٢/ ١١٠).
[٣٦٨] - انظر: الكشاف، (٣/ ٨٤).

ثانيا: توجيه أغراض الإطناب في السورة الكريمة.

١- الإيضاح بعد الإبهام في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ [طه: ٢٥- ٢٦]

هناك من جعل الإطناب قوله: (لي) من باب الإيضاح بعد الإبهام، قال الزمخشري: فإن قلت: لي في قوله اشرح لي صدري ويسر لي أمري ما جدواه والكلام بدونه مستتب ؟ قلت: قد أبهم الكلام أولا، فقيل: اشرح لي ويسر لي، فعلم أن ثم مشروحا وميسرا، ثم بين ورفع الإبهام بذكرهما، فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وأمره، من أن يقول: اشرح صدري ويسر أمري على الإيضاح الساذج، لأنه تكرير للمعنى الواحد من طريقى الإجمال والتفصيل(٣٦٩)، وتابعه في ذلك المفسرون ومنهم ابن عاشور فقال: " وزيادة لي بعد اشرح وبعد يسر إطناب كما أشار إليه صاحب «المفتاح» لأن الكلام مفيد بدونه"(٣٧٠)، وهناك من جعل الكلام من باب الاحتراس ومنهم الرازي حيث قال: "إنما : رب اشرح لي صدري ولم يقل رب اشرح صدري ليظهر أن منفعة ذلك الشرح عائدة إلى موسى عليه السلام لا إلى الله"(٣٧١)، وأكثر البلاغيين أنها من قبيل الإيضاح بعد الإبهام عدا بهاء الدين السبكي فقد جعلها من قبيل المساواة(٣٧٢).

والإتيان بهذا الأسلوب في هذا الموضع لتفخيم الأمر وتعظيمه، ولإظهار مزيد اعتناء بشأن كل من المطلوبين، وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما(٣٧٣) لأن المقام يقتضي التأكيد للإرسال المؤذن بتلقي الشدائد(٣٧٤)، فجاء بزيادة لي لاكتساء الكلام معها من تأكيد الطلب لانشراح الصدر ما لا يكون بدونه، ألا تراك إذا قلت

---

٣٦٩ - انظر: الكشاف، (٣/ ٦١).
٣٧٠ - التحرير والتنوير، (١٦/ ٢١١).
٣٧١ - التفسير الكبير، (٢٢/ ٤٦).
٣٧٢ - انظر: تاج العروس، (١/ ٦٠٦).
٣٧٣ - انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، (٣/ ٣٨٤).
٣٧٤ - انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن،لجلال الدين السيوطي، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان،(١/ ٢٧٢).

اشرح لي أفاد أن شيئا ما عندك تطلب شرحه فكنت مجملا فإذا قلت صدري عدت مفصلا وإن كان الطلب وقت الإرسال الذي هو مقام مزيد احتياج على انشراح الصدر لما تؤذن به الرسالة من تلقي المكاره وضروب الشدائد(٣٧٥).

ومن الإيضاح بعد الإبهام أيضا، ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ قالَ يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلى﴾ [طه: ١٢٠] حيث ذكر الوسوسة مجملة ثم فصلت بما يبينها، وبلاغة هذا التأكيد أنه لما أجملت الوسوسة اشتاقت النفس وتطلعت إلى معرفتها، فلما جاء البيان وقع في النفس موقعا حسنا.

٢- الاستئناس في قوله تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨]

اتفق الشيخان الرازي وابن عاشور على أن الإطناب في الآية لاستئناس موسى عليه السلام بمكالمة ربه، قال الرازي: " هي عصاي فقد تم الجواب، إلا أنه عليه السلام ذكر الوجوه الأخر؛ لأنه كان يحب المكالمة مع ربه فجعل ذلك كالوسيلة إلى تحصيل هذا الغرض"(٣٧٦)، ونقل ابن عاشور عن بعض الأدباء ما يوافق كلام الرازي فقال: ومن لطائف معنى الآية ما أشار إليه بعض الأدباء من أن موسى أطنب في جوابه بزيادة على ما في السؤال لأن المقام مقام تشريف ينبغي فيه طول الحديث(٣٧٧)، واختلفا في سبب إجمال موسى- عليه السلام- بقوله: ولي فيها مآرب أخرى بعد أن فصل، فقال الرازي "وما تلك بيمينك عرف أن لله فيه أسرارا عظيمة فذكر ما عرف وعبر عن البواقي التي ما عرفها إجمالا لا تفصيلا بقوله: ولي فيها

---

٣٧٥ - انظر: مفتاح العلوم، ص٢٨٣.

٣٧٦ - التفسير الكبير، (٢٢/ ٢٦).
٣٧٧ - التحرير والتنوير،(١٦/ ٢٠٦).

مآرب أخرى"[٣٧٨] أي: أن الأمر متعلق بما سيؤول إليه حال العصا، أما ابن عاشور فرأى أنه حكاية لقول موسى- عليه السلام- بِمُمَاثِلِهِ فيكون إيجاز بعد إطناب[٣٧٩].

وعلى الرأي الذي ذهب إليه ابن عاشور يكون إجماله طمعا منه عليه السلام في سؤاله عن المآرب فيطول الكلام ويزيد الاستئناس، وقد قال الزمخشري: "وقالوا: إنما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في إكرامه"[٣٨٠]، وعلى ما ذهب إليه الرازي يكون فيما أورده أبو السعود حيث قال: "وكأنه عليه الصلاة والسلام فهم أن المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء حتى إذا ظهرت على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بديعة علم أنها آيات باهرة ومعجزات قاهرة أحدثها الله تعالى وليست من الخواص المترتبة عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل والإجمال على معنى أنها من جنس العصي مستتبعة لمنافع بنات جنسها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه من سؤال العليم الخبير[٣٨١].

٣- الاعتراض في قوله تعالى: ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٤].

ذكر الرازي رحمه الله أن الجملة اعتراض[٣٨٢]، بينما رأى ابن عاشور أنها تذييل[٣٨٣]، والتذييل أحد أنواع الإطناب التي ذكرها البلاغيون، وجمع الألوسي بين الافتراضين فقال: هي اعتراض تذييلي[٣٨٤]، والفرق بين الاعتراض والتذييل هو: أن الاعتراض: أن يؤتى في أثناء الكلام الواحد أو بين كلامين متصلين في المعنى، بأن يكون ثانيهما تأكيدا لأولهما، أو بيانا له أو بدلا أو معطوفا بجملة أو

---

[٣٧٨] - التفسير الكبير، (٢٢/ ٢٧).
[٣٧٩] - انظر: التحرير والتنوير،(١٦/ ٢٠٦).
[٣٨٠] - الكشاف (٣/ ٥٨).
[٣٨١] - انظر: تفسير أبي السعود، (٦/ ١٠).
[٣٨٢] - انظر: التفسير الكبير، (٢٢/ ٨١).
[٣٨٣] - انظر: التحرير والتنوير، (١٦/ ٢٥٧).
[٣٨٤] - انظر: روح المعاني، (٨/ ٥٣٧).

أكثر، لا محل لها من الإعراب وجملة ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ استئنافية لا محل لها من الإعراب(٣٨٥)، والتذييل هو: تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها لإفادة التوكيد(٣٨٦).

فالجملة واقعة بين قوله تعالى على لسان السحرة: ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ وبين قولهم: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ [طه: ٦٥]، وسواء قصد الاعتراض أم التذييل فالجملة تأكيد للسحرة واستثارة لهممهم، ولعله أبلغ في التحريض حيث جعلوا الفوز لمن طلب الغلب فضلا عمن غلب بالفعل، وأرادوا بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الأجر والتقريب حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٤] وبمن استعلى أنفسهم جميعا على طريقة قولهم ﴿ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤] أو من استعلى منهم حثا على بذل المجهود في المغالبة(٣٨٧).

وفيه تصوير بليغ لنفسية هؤلاء السحرة، وأنهم لم يكونوا يوم تحدوا موسى بسحرهم، خائفين، أو شاكين في نجاحهم، وإنما كان الأمل يملأ قلوبهم، فى نصر مؤزر عاجل، فهم لا ينتظرون ما عسى أن تسفر عنه مقدرة موسى عند ما ألقى عصاه، بل كانوا مؤمنين بالنصر سواء أألقى موسى أولا، أم كانوا هم أول من ألقى(٣٨٨).

---

٣٨٥ ـ انظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، (١/ ٦١٤).
٣٨٦ ـ انظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للعلوي، (٣/ ١٧٨).
٣٨٧ ـ انظر: روح المعاني، (٨/ ٥٣٧).
٣٨٨ ـ انظر: من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، ص٥٥.

الخاتمـــــــــــــة.

وتتضمن:

أولا: النتائج .

ثانيا: التوصيات.

الخاتمـــــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، فبعد خوض غمار هذا البحث توصلت الدراسة إلى عدة نتائج وتوصيات، من أهمها ما يلي:

النتائج:

أولا: مواطن اتفاق الشيخين.

- في تأكيد الخبر في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ حيث رأياه للاهتمام وبشارة لأهل موسى عليه السلام، كما اتفقا في دلالة التوكيد في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ على أن التوكيد لإزالة الشبهة ودفع الغرابة.
- اتفاقا في سر النداء في قوله تعالى: ﴿ يَبْنَؤُمَّ ﴾ وذلك للترقيق والاستشفاع.
- في قوله تعالى: ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ﴾ اتفقا على أن الأمر للتسوية.
- في حذف المسند إليه في قوله تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ ﴾ اتفق الشيخان على أن الحذف للدلالة على سرعة تلقي الأمر من السحرة.
- في التعريف المسند إليه بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ اتفقا على أن التعريف جاء للتعظيم والتهويل.
- اتفق الشيخان على أن حذف المفعول لأسمع وأرى في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] من قبيل حذف المفعول لإثبات معنى الفعل.
- في تقييد الفعل بالحروف في قوله تعالى: ﴿فوسوس إليه الشيطان﴾ [طه:١٢٠] اتفاق أيضا، فتعدية وسوس بـ اللام يؤدي إلى معنى غير تعديتها

بـ إلى، فقوله تعالى: ﴿فوسوس لهما﴾ معناه لأجله و قوله: ﴿فوسوس إليه﴾ معناه أنهى إليه الوسوسة.

- اتفاق الشيخين في دلالة تقديم الجار والمجرور في قوله ﴿من آناء الليل﴾ على أنه للاهتمام.
- وافق ابن عاشور الرازي في كون القصر حقيقي تحقيقي في قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [طه: ٨] وأن دلالته هاهنا ليبين أن الموصوف بالقدرة وبالعلم واحد لا شريك له، وهو الذي يستحق العبادة دون غيره.
- في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًا﴾ [طه: ٩٨] الاتفاق على أنه حقيقي.
- اتفاق الشيخين في قوله تعالى: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري﴾ [طه: ٤٢] على أنها استئناف البياني.
- اتفقا على النتيجة وإن كان السياق مختلف؛ فالقصد بالقصر في قوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: ٥٣] عند ابن عاشور حقيقي غير مقصود به الرد، وهو حقيقي مقصود به الرد عن الرازي.
- تقاطع ابن عاشور مع الرازي في دلالة الوصل في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (طه: ١١٥) معطوفة على قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه: ٩٩] وما بعدها لتحقيق قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وللتسلية، ولاستحباب الاستزادة من العبر التي تعظ وتزجر.

- في قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠] اتفق الشيخان على أن جملة ﴿ قَالَ يَا آدَمُ﴾ بيان للوسوسة.
- اتفق الشيخان في دلالة الإيجاز في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠] فالحذف في (هدى) لشغل ذهن فرعون بما يعود عليه بالنفع فالمقام للدعوة.
- تقاطع ابن عاشور مع الرازي في استخراج الجمل المحذوفة في قوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٧٠] وأن دلالة الإيجاز هنا للدلالة على المفاجئة التي جاءت سريعا وبهرت السحرة، وفيه إيقاظ السامع لإلطاف الله تعالى في نقله من شاء من عباده من غاية الكفر والعناد إلى نهاية الإيمان والسداد، مع ما فيه من المشاكلة والتناسب، والمراد أنهم أسرعوا إلى السجود.
- اتفقا في دلالة الإطناب في قوله تعالى: ﴿ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾ حيث رأيا أن الدلالة لاستئناس موسى عليه السلام بمكالمة ربه.
- اتفاقهما في ذكر المسند إليه في قوله تعالى: ﴿ هِيَ عَصَايَ ﴾ على أنها للإطناب.

مواطن الاختلاف.

- الاستفهام عند الرازي استفهام تقريري في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ﴾، بينما عند ابن عاشور استفهام إنكاري توبيخي.

- تغاير رؤية الشيخين في مسألة تقديم المسند إليه على المسند الفعلي في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ ﴾ إذ يرى الإمام الرازي أن التقديم للتخصيص، بينما يراه ابن عاشور لتقوية الحكم وزيادة تأكيده.

- في قوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ [طه: ٤٥] لم يذكر الرازي دلالة حذف المفعول به وإن كان قد وافقه ابن عاشور في قول على تقدير المحذوف، وذكر ابن عاشور دلالتين وهما الاهتمام ومراعاة الفاصلة القرآنية.
- في قول الله تعالى: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ [طه: ٦] اختلف الشيخان فرأى الرازي أن القصر قصر حقيقي تحقيقي، وهو ادعائي عند ابن عاشور، واتفقا على دلالته وذلك لبيان القدرة المطلقة لله على تلك الكائنات، وقد ناسب وجوده واقتضى الحال إيراده في كل مقام من المقامين عند العلمين.
- اختلفا في الإشارة للمنفي في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [طه: ٧٢] فالقصر عند الإمام الرازي إضافي صفة على موصوف، أما ابن عاشور فالقصر عنده موصوف على صفة، وهو قصر حقيقي.
- من رأى أن دلالة الرسول على الحقيقة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ [طه: ٩٦] قال بالإيجاز ،ومن رأى الدلالة المجازية لها لم يقل به، والرازي على الأول، وابن عاشور على الثاني.
- رأى الرازي أن الإطناب في قوله: (لي) من قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي(٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ [طه: ٢٥- ٢٦] أنها للاحتراس، بينما

خالفه ابن عاشور ورأى أنها من باب الإيضاح بعد الإبهام، ودلالته لتفخيم الأمر وتعظيمه، ولإظهار مزيد اعتناء بشأن كل من المطلوبين، وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما.

- اختلفا في تحديد الجملة في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٤] أهي اعتراض أم تذييل، فذهب الرازي على أنها اعتراض، بينما رأى ابن عاشور أنها تذييل.

ثالثا: ما لم يذكراه بلاغيا في سورة طه.

- لم يأتيا على النهي بلاغيا في آية معا، ولا التمني.
- لم يأتيا على ذكر للمساواة في سورة طه.

التوصيات:

- دراسة مسائل علم المعاني في سورة طه دراسة مستفيضة وموسعة.
- التوجيه البلاغي بين الزمخشري والألوسي.
- دراسة ما انفرد به ابن عاشور في تفسيره.

قائمة المصادر والمراجع:

- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ت: أحمد بن علي، دار الحديث: القاهرة، ١٤٢٥هـ.

- أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة – المعاني، د/ أحمد مطلوب، ط١، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم.

- أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، د. صباح عبيد دراز، ط١، مطبعة الأمانة، (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).

- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د/ حسن طبل، ط١، دار الفكر العربي- القاهرة، ١٤١٨هـ.

- أسلوب التوكيد في القرآن، محمد حسين أبو الفتوح، ط١، مكتبة لبنان،١٩٩٥م.

- الأعلام، للزركلي، ط١٥، دار العلمين: بيروت.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١،دار إحياء التراث العربي: بيروت ١٤١٨ هـ.

- الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل: بيروت.

- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، ت: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية: صيدا- بيروت، ١٤٤٢هـ.

- الإيضاح في علم القراءات، د/عبد العلي المسئول، ط١، عالم الكتب الحديث: الأردن، ٢٠٠٨م.

- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ.

- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد الأنجري الفاسي الصوفي، ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ط ١٤١٩هـ، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي: القاهرة.

- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق أبي الفضل الدمياطي، ط١ ، دار الحديث: القاهرة.

- البرهان في علوم القرآن للزركشي المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

- البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي، ت: د/ وداد القاضي، ط١، دار صادر: بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة،عبد المتعال الصعيدي، ط١٧، مكتبة الآداب.

- بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني، د/ توفيق الفيل، ط١، مكتبة الآداب: القاهرة.

- البلاغة العربية، لعبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي، ط١، دار القلم: دمشق، والدار الشامية: بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

- البلاغة العربية فنونها وأفنانها علم المعاني، د/ فضل حسن عباس، ط٧، دار الفرقان: الأردن، ١٤٢١هـ.

- البيان والتبيين، للجاحظ، دار ومكتبة الهلال: بيروت، ١٤٢٣ هـ.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي.

- التحرير والتنوير ابن عاشور، الدار التونسية- تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ م.

- تحقيق الفوائد الغياثية، للكرماني، ت: د/ علي بن دخيل الله بن عجيان العوفي، ط١، مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة، ١٤٢٤ هـ.

- تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي: بيروت.

- التعبير القرآني، د/ فاضل صالح السامرائي، ط٤، دار عمار، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).

- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط٢، دار القلم، دمشق.

- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الهرري، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط١، دار طوق النجاة: بيروت ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

- تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير دراسة منهجية- لجمال محمد أبو حسان، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٤١١هـ ، مخطوط.

- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ١٤١٩هـ.

- التفسير الكبير، للفخر الرازي، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر: بيروت.

- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، للماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

- تفسير المراغي، للمراغي، ط١، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

- التفسير ورجاله لمحمد الفاضل ابن عاشور، مجمع البحوث الإسلامية، السنة الثانية، الكتاب الثالث عشر، ١٣٩٠هـ.

- التفسير والمفسرون، د/ محمد حسين الذهبي، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة.

- التوجيه البلاغي لآيات العقيدة، د/ يوسف العليوي، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود، سلسلة رسائل جامعية رقم ٩٠، أصل الكتاب رسالة جامعية مقدمة لنيل الماجستير في الجامعة نفسها عام ٢٠٠٨ م.

- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د/ أحمد سعد محمد، ط٢، مكتبة الآداب: القاهرة.

- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري،تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

- الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، ط٤، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، ١٤١٨ هـ.

- جماليات الخبر والإنشاء دراسة بلاغية جمالية نقدية، د/ حسين جمعة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.

- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، طبعة ١٤٢١هـ دار الفكر: بيروت.

- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، لعبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، مير محمد كتب خانه.

- حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي، لمحمد بن مصلح الدين مصطفى القوجي الحنفي، تحقيق: محمد عبد القاهر شاهين، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، ت: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال: بيروت، دار البحار: بيروت ٢٠٠٤م.

- خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالتها البلاغية في تفسير "التحرير والتوير"، رسالة دكتوراه للدكتور إبراهيم على الجعيد، إشراف الدكتور محمد محمد أبو موسى، جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ مخطوط.

- خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني للدكتور محمد أبو موسى، ط٤، مكتبة وهبة: القاهرة ١٤١٦هـ.

- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د/ عبد العظيم إبراهيم المطعني، ط١، مكتبة وهبة، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

- الدر الثمين في أسماء المصنفين، ابن الساعي على بن أنجب، ت: أحمد شوقي بنين- محمد سعيد حنشي، ط١، دار الغرب الإسلامي: تونس.

- دلائل الإعجاز للجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي: القاهرة، مطبعة المدني: مصر.

- دلالات التراكيب دراسة بلاغية، د/ محمد أبو موسى، ط٢، مكتبة وهبة، ١٤٠٨هـ.

- ديوان البحتري، ت: حسن كامل الصيرفي، دار المعرفة، القاهرة.

- ديوان العجاج برواية الأصمعي، تحقيق: د/ عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس- دمشق.

- ديوان المتنبي، اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة- بيروت.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٥هـ.

- سنن أبي داؤد، لأبي داود السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

- شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الحبيب ابن خوجة، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون: دولة قطر، ١٤٢٥هـ.

- شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره، لبلقاسم الغالي، ط١، دار ابن حزم: بيروت.

- الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية: بيروت، ١٤١٩هـ.

- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ت: عبد الفتاح الحلو- محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية: القاهرة.

- طبقات المفسرين العشرين للسيوطي، تحقيق: على محمد عمر، ط١، مكتبة وهبة: القاهرة.

- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي،ط١، المكتبة العصرية: بيروت، ١٤٢٣هـ.

- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح بهاء الدين السبكي المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر: بيروت، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

- علم المعاني في التفسير الكبير للفخر الرازي وأثره في الدراسات البلاغية، للدكتورة فائزة سالم صالح يحيى أحمد، مخطوط.

- علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم د/ حسين طبل، ط٢، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ٢٠٠٤م.

- علوم البلاغة وتجلي القيمة الوظيفية في قصص العرب، د/ محمد إبراهيم شادي، ط١، دار اليقين للنشر والتوزيع: المنصورة- مصر، ١٤٣٢هـ.

- غرائب التفسير وعجائب التأويل، لبرهان الدين الكرماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية: جدة، مؤسسة علوم القرآن: بيروت.

- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، للطيبي، المشرف العام على الإخراج العلمي د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، ط١ ، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

- فخر الدين الرازي، فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية الإسكندرية.

- في البلاغة العربية د/ عبد العزيز عتيق، ط١، دار النهضة: بيروت، ١٤٣٠هـ.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري جار الله، ط٣، دار الكتاب العربي: بيروت.

- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الدمشقي النعماني، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

- لسان العرب، لابن منظور، ط ١، دار صادر: بيروت.

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المؤلف: ضياء الدين لابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع: الفجالة ـ القاهرة.

- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، للبغوي، ت: عبد الرزاق المهدي ط١، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٤٢٠هـ.

- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب: بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- معترك الأقران في إعجاز القرآن،لجلال الدين السيوطي، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

- معجم الأدباء لياقوت الحموي - تحقيق د/ إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي: بيروت.

- معجم البلاغة د/ بدوي طبانة،، ط٣، دار المنارة: جدة، ودار الرافعي: الرياض، ١٤٠٨هـ.

- معجم التعريفات للجرجاني علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، ط١ ، دار الفضيلة: القاهرة.

- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت.

- مفتاح العلوم، للسكاكي، ت: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

- من بلاغة القرآن، د/ أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر، ٢٠٠٥م.

- من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، محمد سعيد رمضان البوطي، ص١٩٥، موسسة الرسالة - بيروت. عام النشر: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

- المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرازي، د/ محمد العريبي، ط١، دار الفكر اللبناني: بيروت.

- منهج الإمام الطاهر ابن عاشور في التفسير "التحرير والتنوير"- نبيل أحمد صقر، ط١- الدار المصرية.

- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ط١، منشورات الأعلمي- بيروت، ١٤١٧هـ.

- الانتصاف فيما تضمنه الكشاف، لابن المنير الاسكندري، حاشية الكشاف،

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، (٥/ ١٦)، ط٤، دار الكتب العلمية بيروت.

- الوافي بالوفيات، للصفدي، ت: أحمد بن الأرناؤوط- تزكي مصطفى، ط١، دار إحياء التراث العربي: بيروت.

- الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة، د/ محمد أحمد عبد العزيز الجمل، رسالة دكتوراه مقدمة من جامعة اليرموك- إربد- الأردن، ٢٠٠٥م.

- وفيان الأعيان لابن خلكان- ت: د/ إحسان عباس- (٢٤٨/٤)، ط١، دار صادر بيروت.

فهرس الموضوعات:

المقدمة..... ١

تعريف التوجيه البلاغي..... ٦

التعريف بالإمام الرازي..... ١٠

منهج الرازي في التفسير..... ١٦

التعريف بالإمام ابن عاشور..... ٢٠

منهج ابن عاشور في التفسير..... ٢٤

التعريف بالخبر والإنشاء..... ٢٧

التوجيه البلاغي للخبر والإنشاء..... ٣٠

تعريف المسند والمسند إليه..... ٤٤

التوجيه البلاغي للمسند والمسند إليه..... ٤٦

تعريف متعلقات الفعل..... ٥٨

التوجيه البلاغي لمتعلقات الفعل..... ٥٩

تعريف القصر..... ٧٥

التوجيه البلاغي للقصر..... ٧٦

تعريف الفصل والوصل..... ٨٨

التوجيه البلاغي للفصل والوصل..... ٩٠

تعريف الإيجاز والإطناب والمساواة..... ٩٨

التوجيه البلاغي للإيجاز والإطناب..... ١٠٠

الخاتمة..... ١١١

قائمة المصادر والمراجع..... ١١٦